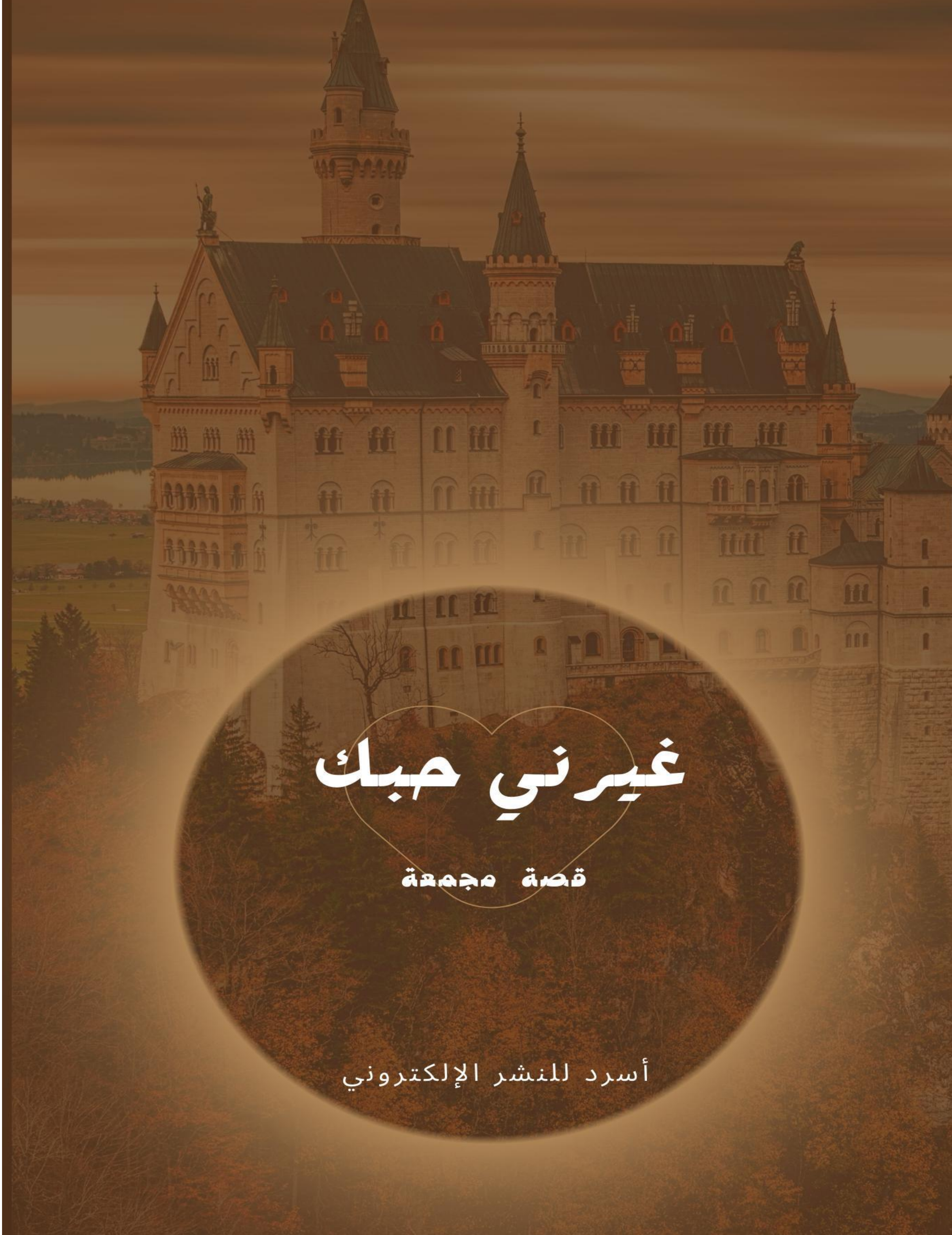

غيرني حبك

قصة مجمعة

أسرد للنشر الإلكتروني

" غيرني حبك "

تأليف / راما الملاجي، مروى نوفل، انجي خلقي
،الاء القشاش، سها عوض، عبد الرحمن عياش.
تصميم غلاف: فريق عمل موقع أسرد

تذكر أنك قرأت هذا على موقع

Asrudأسرد -

كتب موقع أسرد
انشر معنا على الموقع وتواصل معنا مباشرة
««« للنشر والإعلان والتواصل معنا اضغط هنا »»»

أسرد للنشر الالكتروني

ASRUD
للنشر الالكتروني

هذه الصفحة شكر لكل القائمين على هذا العمل

عبد الرحمن عياش

إنجي خلقي

آلاء قشاش

راما ملاجي

سها عوض

مروة قاسم

خديجة محمد الطويل

الإهداء

إلى من جُنَّ في الحبِّ، فأصبحَ مستبدًا ضِدَّ كلِّ النَّاسِ سِوى المحبوب، إلى من اِستكان في وجودهِ وأحسَّ أن حضورهُ منقوصٌ في غيابهِ، إلى من أحبَّ بقلبهِ... كلِّ قلبهِ

غيرني حُبُّكِ

(١)

العاشرةُ مساءً/ في عُمقِ ألمانيا/

تمطر.. تمطر
تمطر بردًا، تمطر حُبًّا، تمطر شوقًا...
على وتيرةٍ واحدةٍ منذ الصباح، برويةٍ وهدوء، تهطل الأمطار بتناغم إيقاعي ترافقها ريحٌ رقيقة ناعمة تداعبُ أوراق الشجر، تأخذها في رحلةٍ بعيدةٍ عاليًا ولا تعود،
انعكاس أنوار السيارات على الرصيف المُبلَّل وهبوط أضواء المباني على نوافذ المشفى شكلَّ منها لوحة فنية مُبهرة ملونةٌ بالذهبي والأصفر، لطالما كانت هذه المدينة مقصدًا للسياح لهذا السبب تحديدًا، إنها مدينة الجمال "هامبورغ" أو تدعى "فينيسيا الشمال" لسحر الطبيعة الخلابة فيها.
بعد أنّ حملت الغُيوم حقائبها المليئةِ بالمطرِ ورحلت، ظهرت النجوم فِي السماءِ ترتعش، ترتعش مرة كُلَّ ثلاثِ ثوانٍ أو أكثر، أتراها ترتعش حنينًا أم وحدةً؟
فِي الطابقِ السادسِ مِن المشفى، كان يتمدّدُ مستريحًا على سريرهِ في غرفتهِ الكبيرة المطلة على ساحةِ فسيحة تسكُنها أشجار الصنوبر، والخالية مِن أيّ نورٍ غير ذلكَ الذي جاء متسللاً من أسفلِ الباب ليشُقَ صدر العتمة في الغرفة، كان هو يشعر شعور النجوم أيضًا، يختلج من كلاهما _الحنينِ والوحدةِ معًا_

ويؤرقه ذلك الضوء المنزلق من أسفل الباب!
((لِمَ يزحف نحوي؟ أهو وحيدٌ أم خائف؟ أمّ أنهُ يشعر بالحنين فيحاول الخروج من النافذة؟ لِمَ أشعر أنه قد جاء من أسفل الباب عمدًا لأجلي؟ وأنه سوف ينقض عليَّ عندما تحين له الفرصة؟!!))
يقطع تفكيره دخول الطبيب بشكل سريع، أنار الأضواء فبهتت عينا حازم وغارتا للداخلِ، قام بإلقاءِ نظرةِ على الأجهزةِ المتصلةِ بهِ ثُمَّ خرج وأطفأ الأنوار دون أنّ يَنبِسَ ببنتِ شفة، ولمح هو أثناء خروجه شرطيين واقفين عند الباب، أغلق الباب وبقي لوحدهِ في الغرفة... ربما هو ليس وحيدًا تمامًا، فوحدته وذلك الضوء القادم من أسفلِ الباب بقيا معه!

يلتفت حازم يمينًا فيرى يدهُ مقيدةً بالسرير، ويدهُ الآخرى حرة يتحسس بها شريانهُ البارز من أعلى العضد إلى آخر الساعد، إنهُ

بارزٌ بشكل جميل ولونه واضح، أزرقٌ فاتح، كشرايين الأشخاص المصابين بانسدادِ الأوعية الدموية، يتحسس شريانه ببطء...
(دافئٌ هذا النبض، دافئٌ من فرط الحنين، اندلاق الدم فيه ثم اندفاعه بعد انفجار القلب كل ثوانٍ يجعلهُ أكثر دفئًا، نورا أين أنتِ؟ أين يديكِ الدافئتين عن هذا النبض الذي تسكنين؟ أحِنُّ إليكِ.. أحِنُّ لو تدرين..)
شعر حازم بدوارٍ في رأسهِ، غارت عيناه في جمجمته فخبا نورهما، وفقد السيطرة على مقودِ نفسهِ تمامًا كساعة حائط زُجاجها مخدوش، عقاربها تدور بجنون، وأرقامها تتساقط!!
استحال الضوء المنزلق من أسفل الباب لصورة شخص، فنهض حازم خائفًا يلهث.. قال بِفَزعٍ:

_ أهذه أنتِ؟
صمتٌ أحَالَ قلبهُ إلى حطامٍ هو ما أجابهُ.
_ أين كنتِ؟
تكررت إجابتهُ، ولم يحصل على إجابةٍ سوى الصمت المُطبق
_ لِمَ تركتني وحيدًا هنا؟
تكررت مُجددًا...
_ اشتقت لكِ
ومُجددًا...
_ لِمَ لا تجيبِ؟ نورا أين كنتِ؟
لم تنبس بكلمة واحدة، وتلاشت كدُخان...

مسح عينيهِ بيدهِ وحاول إدراك الأمر، شهق وزفر بعمق، ثُمَّ شهق وزفر بعمقٍ مرةً أُخرى .. دقائقٌ قليلة من الصمت المُخيف، وقد زاد رعبهُ ذلك الضوء القادم من أسفل الباب فتمنى لو أن الطبيب ترك الأنوار مضاءة. بعد ثوانٍ استعاد حازم نفسه، والتفت يمنيًا بسرعة، عاد ليتحسس شريانه البارز من أعلى لأسفل كأنه يبحث عن علامة ما... وصل لمكان خياطة جرح عند رسغ يده، وعندما رأى آثار الجرح والخياطة على يده بدأت عجلة الذاكرة لديه بالدوران للخلف ليتذكر كل شيء رويدًا رويدًا بعد أن فقد ذاكرته نتيجة لفقده الكثير من الدماء عند محاولة انتحاره...

أين هو؟ وأين نورا؟ لِمَ انتحر؟ وكيف وصل لهذه الحالة؟ لِمَ يده مقيدة بالسرير؟ ولماذا الشرطيان واقفان عند الباب؟ لماذا لم يتحدث الطبيب إليه؟ هل أمروه بذلك؟ أيّ حكاية تلك التي تدور في غرف إحدى المستشفيات هامبورغ؟ وفي الأصلِ، حكاية من هذه؟

***

الثانية عشرة بعد منتصف الليل/
يجلسُ حازم وحيدًا بغرفتهِ في دَلَسِ الليل، لا مطر ولا ريح تهمس في أذن أوراق الشجر، يجول بنظره في الغرفةِ فيرى كُلّ شيء مستريحًا في مكانهِ، وصمتٌ قد عم المكان، كأن كُلَّ شيئًا كان يعرف قصته لذاك سكت؛ لِتُواسيهِ على ما أصابه مِن همٍ وكدرٍ كَاد أن يقتله!

غرق حازم في خياله وبدأ ينسج أحداثًا جميلة عوضًا عن تلك السيئة التي عاشها مما أعاد ترتيب قسمات وجهه المجعدة وجعل عينيه تشع نورًا كالبلور الأخاذ، ليتورد ووجهه، ويعود طريًا غضًّا من جديد..
نام حازم بعمق كأحد الطيور التي وصلت عشها بعد أن تعبت من الهرب من صواريخ تملأ السماء..
يا الله كم كان يحبها، وكم كان يحلم بلقاء سرمدي معها، وحياة ليست تشبهها حياة؟ كم كان يحبها لدرجة أن يفرط في صنع هذا الخيال الذي جعله يبتسم ويغمغم بسعادة في نومه بقوله نورا كُلَّ ثوانٍ!
كم كان يحبها، وكم يحن لها الآن! لكنّهُ القدر... القدر من جديد...
تاه حازم في مدينةِ الذكرياتِ مرةً أُخرى... عاد لتلكَ التي اقتحمت حياتهُ وجعلتهُ أسيرًا لأصغر تفاصيلِها، حائرًا مُتسائلًا: كيف يُمكن لفتاةٍ مِثلها أنّ تسلبهُ غروره وكان من قبلها المئات اللّاتي لم يستطعنَّ حتَّى لفتَ انتباهه؟ كيف أمكنها العبث مع قلبهِ والتمكن منهُ لتُصبح نبضاتهُ تهتف كُلَّ دقائقٍ باسمها "نورا"؟!
حقًا أنَّ تلك الفتاة كانت نورٌ من السماء نزل على قلبهِ ليتشعشع في كُلِّ أوردتهِ وزواياه...
عندما وقع بشباكِ حُبّها منذ أول مرةٍ ألتقى بها استحوذت على فكرهِ وشوشت رأسهُ بالكامل، من كان سيصدق بأنَّ

فتاةً مثلها ستُوقِع بِحُبّها رجل الأعمال الشهير والأول في أعمال تهريب السلاح في أوربا والغرب "حازم ال عمران" حقًّا من كان سيصدق؟!
بالطبع هو الحبّ، ومن سواه يقدر على مثلِ هذا الفعل؟!
هو الحب بدأ يلعبُ لعبتهُ في وسط مدينة _هامبورغ_ بين زقاق المباني بصدفةٍ غريبة... ففي تمام الساعة الواحدة بعد منتصف الليل كان الهدوء يعمُ المكان، وكانت شوارع المدينة شبهُ فارغة من الأشخاص، لا أحد في الطريق الذي يسلكه إلا أعمدة الإنارة وبعض القطط ...
عندما قابل حازم تلك التي أنارت حياته في مكانٍ كان مغممٌ بالسواد مع قلبه الذي كان أشد ظلمةً من الطريق الذي كان يمشيه أنطلق صوتها الرنان ليخترق أذنيهِ ويعُبر جدار قلبه سَمِعَ صوتها الرقيق كرقّتِها، ولكنَّهُ كان مذعورٌ يُطالبُ بنجدتها!!!
(النجدة، ساعدوني ...
هل من أحدٍ هنا؟ ... النجدة ... ليُساعدني أحدكم ...)

اتبع مصدر الصوت حتى وصل إلى زقاقٌ يختبئُ بين المباني، عندها قد وقعَ نظره على نورا التي كان يعترض طريقها ثلاثة شبان، واحدٌ منهم يُمسك يدها وبيدهِ الأخرى يحاول أن يُغلق فمها، ومن شدة الظلام تكاد لا تتضح أشكالهم ولكنَّ نظراتهم القذرة كانت واضحة كالنهار..
وبرغم صغر حجمها أمامهم حاولت الدفاع عن نفسها بالركل والضرب ولكن قد باءت جميعها بالفشل حتى وصل هو عندها كمُنجدٍ من الإله ...
***
بعد ثلاثة أيام من الحادثة كان حازم مستلقٍ في غرفةِ نومه يُمسك بيدهِ هاتف وبيده الأخرى قلادة وقعا من الفتاة التي أنقذها، كان يطيل النظر إليها، وكان لونها ذهبي يلمع إن وصلتها حواجب الشمس فتبدو بجمال سلاسلِ القمح في حقلٍ ذهبيٍ كبير ... واستمر شرودهُ العميق فيها حتى قاطعهُ آدم
فارتبك وتبدلت ملامحه، وأسرع بتخبئة القلادة الَّتي كانت بيدِهِ محاولًا تخليصَ نفسهِ من فضول آدم وأسئلتهُ الَّتي ستَنْصَبُّ عليهِ، ولكن لا مَحَالَ من ذلك فقد كُشِفَ أمرهُ أمامه...
آدم بمكر: (يبدو أنك قد وقعت هذه المرة؟ لذاك لا تتحدث كثيرًا مُنذُ أيام، ما قصة هذه القلادة ها؟)
فهم حازم أنهُ قد وقع في الحُبِّ ووقع في تحقيقٍ لا مفر منهُ أيضًا، فاستسلم وبدأ يسرد لآدم الحكاية وانهى كلامهُ قائلًا بتنهيدة: (وهذه هي قصةُ ذاك العقد الذي وقع منها، حتَّى أتيت أنتَ وأخذتني من هناك)
صمت قليلًا ثُمَّ أردف قائلًا: (وسأعرف عما قريب من هي، وكيف لها أن تفعل بي ذلك؟ أنا حازم عمران...)
قاطعهُ آدم: (أحزنني ذلك..)
فاغتاظ منهُ حازم وسرق الوسادة من جنبهِ وقذفها في وجهه ردًا على مزحهِ الثقيل الخفيف، وقضوا تلك الليلة بتعالي أصوات ضحكاتهم ومزاحهم في اللعب غيرُ مدركينَ للوقت...
العلاقة الَّتي كانت بين حازم وآدم لم تَكُنْ علاقة صداقة فحسب، بل كانت علاقة أخوية، فمنذ اللحظة التي رأى بها حازم آدم أدهشهُ الشبهُ الكبير بينهُ وبين أخيهِ الصغير الَّذي كانَ يُحِبّهُ ويدللهُ فقطع على نفسه وعدًا بأن يجعله أخًا له بدلاً من أخاه الذي فقده، فقررَ أنْ يُوقفهُ عن العمل بتلك الأعمال الخطيرة؛ وبذلك استطاع حازم تخليص آدم مما كان فيه من خطر، وأصبح مسؤولاً عنهُ وعن حياتهُ، وبفضلهِ عاش حياةً أفضل وحقق أحلامه، وعندها شعر آدم بأن حازم هو أمله وسنده في هذه الحياة، وأنَّ من واجبه تجاه الذي قدمه حازم له أن يكون ذراعهُ الأيمن في كل شيئ لذلك درس قسم إدارة الأعمال ليستطيع افتتاح شركتهم الحالية التي ستكون غطاء يحمي به أخيهِ وعمله غير القانوني...
وها قد طوى الليل صَفِحَاتِهِ لِتُشرِق الشمس بنورها متوجهةً نحو عينيها لتزعجها، ولكنَّ الأزعاج الحقيقي والأكبر كان صوت صديقتها راما وهي تُغني فوق رأس نورا بصخبٍ، وصبر نورا قد وصلَ حدّهُ، فدوت بصريخٍ لراما بأن تصمت لأنها أفسدت عليها نومها في يوم عطلتها... وفي الحقيقةِ قد تعمدت راما فِعلَ ذلك لكي تخرجانِ معًا وتتكلما

فالعمل قد أخذها منها، ومن الجيد جدًا أن تأتيهم مثل هذهِ العطلة لتتنفس راما قليلًا وتقضي بعضًا من الوقت مع نورا التي بالكاد تجلس معها مرةً أو مرتينِ في الأسبوع... واستمرّت راما بالغناء حتَّى نفخت نورا بضيقٍ وقررت أن تستسلم لأنهُ لا مهرب من راما وصوتها أبدًا...

اكملت راما تجهيز نفسها وكذلك نورا وخرجتا وكانتا في كاملِ أناقتهما وزينتهما الَّتي تَسلبُ العقول، وفي الطرف الآخر استعد كُلٌّ مِن حازم وآدم اللَّذين كانا في قمةِ الوسامة والأناقةِ فهذا عيد سانت مارتن الَّذي تكون فيهِ السعادة تبحثُ عن طريقها للتسكع بين قلوبِ البشر فتنشر الإبتسامة في وجوههم، والجميعُ كانَ بانتظار هذا اليوم لتحين الساعة وينطلقوا منفردين بين زحام المدينة والسكان. كانت الأضواءُ تنتشرُ في المدينةِ وبدت الطرقُ والشوارعُ مزينةً بطريقةٍ جميلةٍ جدًا، وأصواتُ الطبول والأغاني في كُلِّ مكان...
وقفت راما على احدى المحلات لتشتري مشروب وكانت نورا بانتظارها تُراقب وأعينها تتطاير فرحًا في تلك الأجواء، وعلى مقربةٍ منهما آدم وحازم كانا يتجولان وكانت الزحمة تزداد أكثر، وفجأة وجدتْ نفسها تصطدم بشخصٍ ما فتمتمت بآسفة ولكن سرعان ما صمتت عندما رأتهُ...
لقد كانَ هو! ذلك الشخص مرةً ثانية!
ثوانٍ قليلة ثُمَّ استدارت بظهرها وركضت هاربة دون أن تُكمل اعتذارها...
وقف حازم شاردًا بعدما حاول ايقافها واللحاق بها ولكن فشل في ذلك، وعاد بذاكرتهِ لتلك العيون التي تمكن من حفظها للمرة الثانية ولشعرها الذي طار تجاههُ غير مدركٍ لنفسهِ كيف لها أن تختفي من أمامِ ناظريهِ بِكُلِّ هذهِ السرعة! كيف؟!
أيفعلُ الحُبّ هذا؟ أم أنهُ الخوف والقلق المُفرط؟!
فبعد الغدوِ كانت نورا متمددةً على سريرها في الطابقِ العلويِ تتمعن انقشاع الليل وبزوغ النهار، تُفَكِرُ مليًا وتسترجع ما حدث معها طوال عدةِ أيام، وظَلّت هكذا حتّ◌ّى توقفت عند ذكرى لم تستطع تخطيها، تلك الَّتى علقت في زوايا عقلها وبقت تُداهمُ فِكرها بين كُل فينةٍ وأخرى... أشعلت ضوء المصباح الَّذي كان لونه يشبهُ لون وجوه الأشخاص المصابين بالإعياء الجسدي أو البرد وجلست على الطاولة تكتب:
مَرَّ على ذلك اليوم أربعة عشر يومًا واليومُ قد صادفتهُ مرةً أُخرى، لا أعلم أيَّ صُدفةٍ قد تَجعلُ ذلك اليوم مليءٌ بأكمله بالمصائب! وأولهُ تأخري عن العمل...

عودة إلى الوراء:
كانت خطواتها سريعةً جدًا كأنها تحاول اللحاق بشيءٍ ما، وبعد وقتٍ قصير وصلت أخيرًا إلى مكان عملها، وقفت لعدة ثوانٍ تلتقط أنفاسها وتدعو ربها بأن لا تكون قد تأخرت بالفعل، دخلت وبدأت تبحث بعينيها عن ربِّ عملها ولكنها لم تلحظهُ فظنت أنهُ لم يأتِ بعد، وشعرت بسعادةٍ غامرةٍ وأخذت تشكرُ الله في قرارةِ نفسها... عندها وقبلَ أن تُكمل دعائها سَمِعت صوتهُ الغاضب يستوقفها!
_ نورا اليوم ستعملين لخمسِ ساعاتٍ إضافية بسبب تأخُرِكِ.
التفتت إليهِ بسرعة ودون نقاش هزت رأسها طواعيةً لأمره، بينما في داخلها أرادت حقًا أن تقتلعَ لهُ عينيهِ الَّتي كانت ترمقها بنظراتٍ يتطاير منهما الشرار، اتجهَ بعدها إلى الخارج، وأكملت نورا خطواتها لتبدأ عملها، الَّتي كانت أعين زُملاءها تراقب مجيئها لخوفهم مما سيحدث!
عودة للواقع:
انهيت عملي مع الساعات الإضافية وخرجت عند الساعة الواحدة إلا عشر دقائق فجرًا، الحقيقة أنّي فعلًا قد شعرت بالرعبِ عندما رأيت نفسي أمشي لوحدي في الطريق بين ظلام الليل ووحشته ولكنَّ الرعب الحقيقي كان عندما قطع طريقي ثلاثة أشخاص، ارتعشَ قلبي وتجمد الدمُ في عروقي بمجرد أن رأيت وجه أحدهم، كانوا سُكارى، حاولوا سرقة حقيبتي والتحرش بي، صرخت كثيرًا وحاولت الدفاع عن نفسي ولكن بلا جدوى فمن شدةِ رُعبي غار صوتي في صدري، كأنني كُنت أصرخ داخلي وصوت صراخي كان كسكاكينٍ تطعن جوفي باستمرار...

لم ينتشلني من رعبي سوى صوت ذاك الرجل الَّذي رأيتهُ اليوم، هو من أحيا أملي من جديد...
لا بُدَّ أنَّهُ يتساءل الآن لماذا رهبت؟ ولا بُدَّ من أنَّهُ قد حَفِظَ ملامحي أيضًا... لا أدري لماذا هربت، ولكنّي لم أهرب خوفًا، مما أخاف؟ بل شعرت بالأمن بمجرد أن رأيته، كما شعرت بذلك عندما سمعت صوت استجابتهِ لمناداتي قائلًا بصوتهِ الرخيم:
_ (اتركوها وشأنها).
وبينما كان يضربهم واحدًا تلو الآخر هممت أنا بالهروب والنجاة بروحي دون أن انتظره أو أشكره على انقاذي...
في المرةِ الأولى هربت لأن هاجس الخوف كان قد وصل لأعماقي، ولكن في المرة الثانية لم أدرِ حقًا، ولكني أشعر بالندم إزاء ذلك، كان عليَّ أن أُبدي ردة فعلٍ ألطف من ذلك... على أيِّ حال... أتمنى أن تجمعنا صدفة أخرى لأُصلِحَ ذلك...
أُغشِيَ على نورا حُبًّا وغطت في نومٍ عميق، وبعد أيامٍ في الفندقِ الَّذي كانت اعمل بهِ وبالتحديد في القسمِ السُفلي الَّذي تَمَّ حجزهُ بالكاملِ من قِبَلِ السيد حازم آل عمران
كانت تسير الأمورِ حسب التجهيزات المُخَطَطِ لها، فاليوم حفل توقيع صفقة جديدة يرأسها السيد حازم بالتعاون مع أحد أكبر تجار السلاح في ألمانيا...
جميع العاملين كانوا يشعرون بالتوترِ خائفين من أيِّ ثغرة قد تقلب عليهم الموازين، فيسعون لتقديم أفضل ما لديهم تبعًا لتنبيهات السيد مراد للجميع بأن لا يرتكبوا أيَّ خطأ قد يكلفهم عملهم، وحين كان السيد مراد يتحدث على الهاتف المحمول كان نظرهُ متوقفًا على نورا الَّتي تقف على بُعدِ مسافات في البار، فبدأت نورا تتهامس هي وزميلاتها عن نظراته المقززة التي يرمقها بها، وكأنه يوجهُ كلامه لها بالتحديد!!
يارا باستهزاء:
(الحقُّ يا نورا لقد ظلمتي الغراب لتشبيهه بهذا الكائن الأكثر بشاعةً وسوءًا، فمهما كان سيكون الغراب ألطف منه)
ضحكوا جميعًا وأكملوا عملهم في تحضير القائمة التي طُلبت منهم، فسوف يتم تقديم المشروبات حتمًا بعدما يتم التوقيع..
وبعد قليلٍ من الوقت بدأ المدعوُّن إلى الحفلِ بالتَوافدِ شيئًا فشيئًا، وكانت الأجواء مريحة وصوت الموسيقى الهادئ يَنصبُّ في أذآن الحضور مما زاد بهجتهم ورقيهم في التحدث مع الجميع، وكانت نورا تقدم المشروبات للضيوف، واستمرت في ذلك إلى أن وصلت شخصًا ما كان مشغول في حديثهِ مع أحد العملاء، ولم تنتبه لشكله فلم يكن يظهر منه سوى ظهره، وعادت بخطواتها إلى المطبخ لتجلب المزيد من المشروب وعندما أدارت ظهرها سمعت صوت أحدٍ ينادي عليها: (توقفي من فضلك)
اقتحم صوتهُ عالمها وبدأت ذاكرتها تعيد لها صوتهُ وتكررهُ في رأسها مرارًا لقد سَمِعَتهُ من قبل وكأنها تحفظهُ جيدًا، نعم إنّهُ هو، كيف لها أن تتوهَ بهِ؟!
ارتجفت نفسها لوهة، وأخذ نبض قلبها يتسارع، وهو كان يقترب بخطواتهِ نحوها، ومع كُلِّ خطوةٍ ترتعش يداها وتتعانق رموش عينيها، يقتربُ أكثر وتوشك نورا على إدارة نفسها نحوه، يوشكُ على الوصول فيستوقفهُ صوت آدم:(حازم تعال إلى هنا قليلًا).
تنفست نورا الصعداء مبتسمةً لتُسرعَ بخطواتها نحو المطبخ، ولكنها توقفت عند تذكُرِها للذي قاله آدم وتمتمت بنفسها غير مصدقة:
(ماذا؟ حازم! أي إنَّهُ ذات الشخص الذي تمت كل التجهيزات من أجله! الذي كان يتحدث عنهُ الغراب طيلة هذا الأسبوع ويُحذرنا من ارتكاب أي خطأ صغير تجاهه، أي إنَّهُ حازم آل عمران، لقد انتهى أمرُكِ يا نورا)
كانت نورا متسمرة في مكانها وغير مدركة بأنها قد أوقعت الذي بيدها وسببت فوضى حولها! حاولت تدارك الأمر بسرعة ولملمت البواقي واسترقت نظرةً سريعة وراءها لترى الذي لم تكن تتوقع أن تراه، نظراتُ حازم التي تُراقبها، فشهقت متفاجئة وأسرعت نحو الداخل وقلبُها ينبُض بقوة ولكِنها لم تكن تعلم أهو من خوفها؟ أم من شعور رؤيتها لمُنقذِها..
في هذه اللحظة كان السيد مراد قد اشتاط غضباً فاحمرَّ وجهه وأصبح كحبةِ رُمانٍ على وشك الإنفجار، قَبَضَ على

يدهِ بقوة وذهب خلف نورا مباشرةً، وحازم يُراقب كلّ شيء...
أعطى المشروب لآدم، وذهب مسرعًا نحو مكتب السيد مراد الذي كان يصرخُ غاضبًا بوجه نورا، وقفَ لبرهةٍ ما أمام الباب ليسمعُ صوتها تبررُ موقفها، ذلك الصوت الذي كان يتردد في رأسهِ منذُ ذلك الوقت، نظر من شق الباب قليلًا ليتأكد من الذي سمعه، فرأى مراد يقفُ وهي أمامه يظهرُ طرفٌ منها، نصفُ وجهها الذي أمعن النظرُ فيه ويدها الّتي تُشمِرُ عنها، وشعرُها الذي يتزكره جيدًا لقد كان بسواد الليل مجعدٌ وطويل ليسمع صوت مراد يصرخ قائلًا: (ألم احذركم بأني لا أريدُ أي فوضى أو خطأ صغير؟ وأنكم وإن فعلتم ذلك فإنّهُ سيؤدي بكم إلى الخارج؟ ولكن يبدو أنكِ حمقاء ولا تفهمين بالكلام... إلخ)
دَخَلَ حازم ووقفَ أمام نورا الّتي كانت تغمض عينيها كالأطفال خوفًا من صراخهِ المُدوي، وقال بحدةٍ موجهًا كلامهُ لمراد: (هذه الفتاة تخصني ومن الأن فصاعدًا ستعاملها باحترام وستستمر بعملها ولن يعترض طريقها أحد أو يزعجها أحد وإن كان على الفوضى التي حصلت منذُ قليل فهو ليس خطئها ولا تستحق كل هذا الكلام الجارح والأن تفضل إلى الخارج أكمل عملك)
كانت أعين نورا الدامعة تُراقب ذلك بصمت، فخرج مراد والشرار يتطاير من عيّنيهِ عندما شعر بالأهانة الكبيرة الّتي تعرض لها من قبل حازم...
أما آدم فكان مصدومًا من تصرف أخيه! ولكِنّهُ تبتسم قائلًا في نفسه: (لقد أصابت سهام الحب قلب أخي أخيرًا).

ظَلَّ حازم واقفًا أمام نورا، مُتأملًا عينيها وقسمات وجهها الّتي تَدُل على صدمتها الكبيرة، فتاة شعرها ثقيل بثقل الليل، عينيها واسعتان تُغرق قارةً بأكملها، قامتها متوسطة الطول وخداها المتوردان... قطع حازم هذا الصمت المطبق فأقفل الباب وعاد إليها قائلًا: (تحسبًا كي لا تفعليها ثالثة)
استجمعت نفسها ثُمَّ نَطقت: (ولكن... حسنًا، شُكرًا جزيلًا لك حقًا لقد انقذتني من مأزقٍ كبير هذا الغراب صارمٌ جدًا ولا يضحك إلا عن طريق الخطأ حقًا شكرًا جزيلًا وأعتذِرُ لأني ربما أكون قد أفسدت علاقتك مع السيد مراد وأعتذر ثانية لأنك انقذتني من أولئك الأغبياء اوقعتك بالكثير من المتاعب أعتذر جدًا).
أنهت كلامها وصمت وصمتت هي وبدى كأنه لم يسمع شيئًا مما سبق، مذهولٌ بشدةٍ براءتها وملامحها الناعمة وبياض بشرتها، وكأنهُ يقول في نفسه لا لا بالتأكيد إنَّهُ حلم!
انتبه على صمتهِ الطويل، ثُمَّ رَبت على كتفها، ابتسم هو بسحرٍ وأجاب: (على الرحبِ والسعة).

(٢)

أُرهِقَ حازم ... ما عَادَ يَحتَمِلُ ثِقَلَ الذكريات، ارتفعت حراراته لأربعين واختنق من هولِ ما انَصبَ عليهِ من ألم، في كُلِّ مرة كَانَ الشوق لنورا يستأنِسُ ألم بُعدها، ولكن هذهِ المرة نَفَرَ مِنهُ، كواهُ الحُبّ ولازال على مهلٍ، ونار الندم استمرّت بأكلِ روحهِ لفشلهِ باللحاقِ بها وكذلك لتسببهِ بقتلها ...
يُحَدِثُ نَفَسَهُ:
(لو أنّي مِتُّ بدلاً عنكِ يا نورا، لو أنّي مِتُّ بدلاً عنكِ ...)
وانهمرَ بالبكاءِ وأخذ يعض شفتيه ندمًا على ما حدث ...
بعدها استمر بالحديث لنفسهِ:
(لو أنّي قرأت لك الرسالة، لو أني فعلت، آهٍ يا نورا، آسف يا حبيبتي ... آسف جدًّا ...)
أُغشي على حازم شوقًا وألمًا، كَانَ يبدو بلباس المشفى الأبيض كطيرٍ حَطِ من الأعالي مُتعبًا ... في أيِّ عالمٍ هو الآن، تراهُ في أيِّ سماءٍ يُحَلِق؟ لابُدَّ أنَّهُ في السماء الثامنة، أجل هي سبعًا وثامنها نورا ... وتتابعت الذكريات في عقلِ الرجل، كانت تأتي على شكلِ أمواج، ولكنَّ أمواج هذهِ المرة كانت عنيفةً بشكلٍ لطيف وحزينةً بشكلِ جميل، تَدُوسُ على الألمِ بخفةٍ لكنَّها موجعة!
كَانَ يتذكرُ كل اللحظات السعيدة الّتي عاشها معها، هي لحظاتُ مَا قبلَ الفِراق ...

يستذكرُ وهو راقدٌ على سريرهِ كُلَّ ما حدث:

في الدفةِ الأخرى من مدينةِ هامبورغ ومع أشعةِ الشمسِ الَّتي حملت حقائب الوداعِ مُعبرةً عن حلولِ المساءِ خَرَجَ حازم من الفندق والحيرة تأكل عقله، تاركًا آدم والسائق خلفه يهتفان باسمهِ لكنَّه لم يُبالِ؛ فقد أحبَّ المشي منذ صغرهِ وحيدًا على ضفاف الأنهار وبين الشوارع الخالية من معارفهِ ومن الوجوهِ المألوفةِ له ...
ما كان يُراودهُ هذا المساء هو _الوحدة والتفكير_ حيث أراد أن يطلق العنان لخاطرهِ الَّذي استحوذت عليهِ تلك ذات الشعر الطويل المجعد والمقلتين الواسعتين بلون البُن.. نعم هي، دقق في تفاصيلها، دقق في ملامحها أعاد النظر إليها بمنظور آخر ومن وجهة أخرى كانت دقات قلبه تتسارع ذهابًا وإيابًا كأنها رقاص ساعة! لكِنَّها لم تعطهِ إشارات، تلك الإشارات الَّتي جعلتهُ يرى وجهها بطريقةٍ لم يسبق لهُ أن رأى فيها أنثى من قبل رغم اختلاطهِ الدائم بالنساء العابرات من عاملات ومعجبات بشخصهِ الفاتن، ركز في تقاطيع وجهها وفي تلّك الغمازة الَّتي توسطت خدها، ولكنَّهُ لم يذكر في أيِّ خدٍّ كانت فأشاح بتفكيرهِ وذهب إلى شعرها الأسود بسواد الأيام التي لم يفكر فيها بهذه الفتاة!
وَظَلَّ يُفكر ويستحضر ملامحها إذ كان يمشي ... كان فَرِحًا، كان يبتسمُ خلسةً ابتسامةَ البُلهاء، كان مُلحقًا بل مجنونٌ، أجل، جُنَّ حازم حُبًّا ...
أطلت شمس اليوم التالي مقتحمة بأشعتها نافذة الغرفة الزجاجية ومداهمة لعينيهِ المشقوقتين شيئًا ما وقد قاربت الساعة الثامنة والنصف صباحًا، أوقظ جميع حواسهِ وأمسك هاتفهُ ليرى الواردة والصادرة إليه من رسائل ومكالمة فائتة، ثم تذكر الكم الهائل من الأعمال الَّتي تنتظرهُ في المكتب وإذ باتصال من السكرتيرة الخاصة به _ جيسيكا_ :
_ نعم؟
_ صباح الخير سيدي، اتصلت لأذكرك باجتماع الساعة الحادية عشر.
-لم أنسَ، مسافة الطريق وسأكون جاهزًا للاجتماع، حضري الملفات إلى حين وصولي، إلى اللقاء.

انهى المكالمة مسرعًا وبدلَّ ملابسهُ، صففَ شعرهُ كالمعتاد وأخذ فنجان القهوة خاصته ثُمَّ اتجه بسيارتهِ نحو المكتب، ألقى التحية على العاملين ثم بدأ يومهُ بالعمل اللانهائي ...

_ جيسيكا هل لَدَيَّ أيَّ موعدِ في السابعة مساءً؟
_ نعم سيدي عليك الذهاب إلى عملائنا في فرانكفورت.
_ ألغي الموعد اليوم أو اجليه إلى وقت آخر.
_ لكن ...
_ دون نقاش نفذي وحسب.

خاطبه آدم الذي كان يجلس أمامهُ في المكتب:
_ ماذا لديك في السابعة مساءً؟ الاجتماع في غايةِ الأهمية!
أجابهُ وعيناه تتجهان نحو الأفق ...
_ السابعة ... آه
تنهد وقال في نفسه: (هناك أخطاء يتوجب عليَّ تصحيحها في السابعة).

بينما كان حازم مشغولاً باعمالهِ حتَّى السابعة مساء كانت نورا تعمل في الفندق بتذمرٍ وقلقٍ شديدٍ:
(انجي أرجوكِ اسرعي لا أريد المزيد من المتاعب لقد أنهكني الغراب من شدة التوبيخ والشتائم)
ومازالت ذات الوجه البريء والعينين الواسعتين تعمل محاولةً أن تتجنب الأخطاء والعثرات كي لا تقع في كومة من الإستهزاء والسخرية، وكان الغراب يراقبها وينتظر أن ترتكب أصغر زلةٍ ليطردها ويفرغ غضبه وكرهه لها ...

وظَلّت تعمل إلى أن قاربت الساعة السابعة مساءً، أخذت نفسًا عميقًا وجلست مكان سونيا في الاستقبال، دقت أجراس عقارب الساعة في أذنيها ثُمَّ حدث ما لم تكن تتوقعه، بينما كانت تراقب خصلة شعررها المتعرجة بين يديها وإذ بهِ يدخل إلى الفندق ويقف متسمرًا أمامها ..

_ مساء الخير
مازالت تفكر وتتمتم بدهشة وعينين جاحظتين هل هذا حلم؟ كررت نعم أنَّهُ حلم، أجابها بشيء من الفكاهة:
_ لا أنا هنا فعلًا وها أنا أمامك اصفعي نفسكِ لتستيقظِ إن شئتِ ...
_ ماذا؟ هل يمكنني أن أساعدك؟
_ نعم أريد الحديث معك
_ تفضل، قل ما لديك.
_ هل ترافقيني إلى أحد المقاهي المجاورة؟
_ لما المكان هنا مناسب، قل ما لديك وحسب ..
_ نورا، أنا آسف ..
_ سُكوت!
_ قلت لك أنا آسف لم أكن أقصد ما حدث لك، بالفعل لم أقصد ..
_ لا عليك، الخطأ خطئي واعتذارك مقبول، شكرًا لك.
_ إن كان حقًا مقبول فسوف تقبلي دعوتي أيضًا.
_ لكن ..
_ هذا شَرطي.
لم يترك لها المجال لتتفوه بكلمة فأجابت بنوع من الكبرياء:
_ حسنًا، وأنا موافقة ...
***
في طريقهم للمقهى كانت الشوارع هادئة تقريبًا والجو دافئٌ، وكان القمر قد استولى على جزء من السماء ووزع جيش النجوم حوله .. سارا معًا باتجاه أقرب مقهى، كان الخجل سيد الموقف والصمت مترأسًا للحديث وكل منهما يجول بنظره يُمنة ويُسرى كي لا تلتقِ عيناه بعيني الآخر .. انتظرها كي تتكلم وهي كانت تنتظر منهُ أن ينطق بكلمة، لكنَّ الصمت ألقى بشباكهِ عليهما فلا هي تكلمت ولا هو بادر بالحديث ...
دندن محاولًا أن يكسر الهدوء وسواد الليل بينهما، فقالت ضاحكة:
_ هل تجيد الغناء؟
أجابها وكاد أن ينفجر فمه بضحكة لم يسبق له أن ضحكها من قبل:
_ هل شاهدتني على إحدى المسارح من قبل، أو على شاشة التلفاز بجوار كاظم الساهر؟
ضحكا سويًا ثم ساد الهدوء ثانيةً إلى أن وصلا المقهى.
جلسا ولكنّ لا أحد منهما قد تكلم، فقالت:
_ تفضل، ها نحن في المقهى، أجئنا هنا لنصمت؟
_ لا، جئنا لأرى تلك الفتاة التي صادفتها في أحد الشوارع تستنجد بي وأنقذتها ولم أرى وجهها حتى، لكن ذلك الصوت الرقيق وهذا الشعر الكثيف الذي أطل من خلف الجدار هما من كشفاها لي ...
_ أشكرك على تلك المساعدة بالفعل أنا ممتنة لك ..
قاطعها بلهفة وقال:
_ كذلك جئت لأعتذر لتلك الملاك التي تسببت لها بالمشاكل دون قصد، أتعلمين أنا دائمًا أخطأ ولكن نادرًا ما أعتذر؛ لأن الذي اعتاد المشاكل لا يفكر بالاعتذار ...

ثُمَّ بدأ حازم يعرف عن نفسه وهو ينظر لعينيها وكذلك هي اطرقت له وكانت تركز في حديثه كما لو أنها أرادت أن تستمع له من قبل:
_ أنا حازم، حازم فقط دون الألقاب أو أسماء الشهرة، حازم الذي ربى نفسه بنفسه منذ كان يبلغ الخامسة عشر من عمره ومنذ أن فقد عائلته بحادث سير لعين، نعم أنا حازم صاحب أكبر شركة استيراد وتصدير للصوف في ألمانيا، تربيت في أحضان هذه الشوارع وعلى أزقة المنازل والمتاجر حتى أصبحت على ما أنا عليه الآن ...

ساد الصمت بينهما مجددًا وعينا نورا تتابعان بشيء من الأسى والحزن حتى خاطبها برجولته المعتادة:
_ ألن تعرفيني بنفسك؟
أجابت ممازحة مبددة للصمت:
_ أنا نورا التي ستطرد بعد قليل على يد الغراب في الفندق وبسبب المغرور في المقهى ..
أغمى على حازم ضحكًا ...
_ الغراب؟ اتقصدين السيد مراد؟
_ نعم
_ ومن هو المغرور؟
ابتسمت بمكر وتمتمت:
_ لا أعلم
_ آه، لقد فهمت المغرور يجلس أمامك إذًا!
_ أنا لم أقل شيء، وحدك من نطقت ...

كانت ضحكته تختلف عن ما قبل وكأنها أول مرة يضحك! أو كأنه كان لا يجيد الضحك حتى!

_ يا مغرور، ألن تعيد لي هاتفي؟ ها والقلادة أيضًا لابُدَّ أنها معك
_ هاكِ القلادة، ولكن ما الحاجة للهاتف الآن؟
_ لا شيء، انظر في الساعة وسترى أن الوقت تأخر وأريد أن أحادث شريكتي في السكن كي لا تقلق ..
_ حسنًا، تفضلي.

_ مرحبًا راما
_ أهلًا، بالله عليكِ كم الساعة الآن؟
_ دعيني أتكلم أولًا، أنا في المقهى مع سيدٍ كبير يُدعى حازم عمران
_ ماذا؟ هل جننتي؟
_ راما أتصلت لأخبرك فقط، لا لأستمع للحكم والمواعظ، أغلقي الهاتف ومعه فمك إذا سمحتي.

أنهت حديثها مع صديقتها وعادت لتراه يتعقب تفاصيلها وكأنه يجعلها صورة لا تمحى في دماغه:
_ حازم
_ هاااا؟
_ حازم، ما بك؟
كان يتغنى باسمه عندما خرج كالسمفونية من بين شفتيها الكرزيتين فيشرأب قلبه وتتسارع النبضات مع سماع صوتها يرن في أذنيه كألحان ماسية لبتهوفن...
_ أين ذهبت؟! هيا تأخر الوقت، ولم يبقَ أحد سوانا هنا

سارا معا في طريق سكنها وعلى عكس ما مضى وتحت وطأت الليل وسواده كانا يختلسان النظرات ويتبادلان أطراف الحديث بين كل دقيقة وأخرى، وظلّا هكذا إلى أن وصلا إلى حديقة مجاورة لسكن نورا، فودعها هناك وافترقا بعد لقاء لن يتكرر في حياة رجل مثل حازم ...
لقاء العمر ...

قبل نصف ساعة وبعد أن بلغت نورا صديقتها الصحفية وشريكتها في السكن (راما) أنها مع حازم آل عمران بدأت راما تحيك خطة ما في عقلها:

(إذًا مع حازم عمران، هو من سيرفع اسمي و يجعله علمًا مرفرفًا في عالم الصحافة والإعلام، سامحيني نورا ... ستشكريني في المستقبل، أعدك بذلك ..)

(٣)

مازال حازم يركد في المشفى تحت حراسة مشدّدة، ومازالت الذكريات تتوالى في ذاكرتهِ كالأمواج موجة تلو أخرى .. يتذكر:

مرّت سبعةُ أشهرٍ مُنذُ لقائهما الفعليّ الأوّل، ذَلِكَ اللقاء الّذي انصهرت فيهِ القلوب دون دراية منهما فأصبحا كَعقدتين مترابِطتين لا شيء قادرٍ على فكِ وثاقهما، مُنذُ سبعةِ شهور فقط شهدتْ _هامبورغ_ ميلاد هذا الحبّ العظيم، وها هي الآن تشهد جنازتهُ! وكأنّهُ مقدرٌ للأشياء العظيمة أن ترحل باكرًا وبطريقةٍ مُخيفة...
بينما إقتادوه رجال الشرطة في السّيارة متجهًا إلى السجن، كانت نورا داخل سيارة الإسعاف تحمل في صدرها رصاصة موقعة باسم الحبّ، كان من المفترض أن تكون الرصاصة في صدره، لا في صدرها، ولكنّ لماذا كانت هي؟! ما الذنب الّذي اقترفتهُ؟ أهكذا يكون جزائها فقط لأنها أحبته؟ لأنه كان سفاحًا ربّما أو مجرمًا! لكنّها أحبت حازم الإنسان لا مهرب السلاح ...
هكذا ظَلَّ طول الطّريق، مضطرب الرّوحِ، مشتّت الفكرِ لا يرسو على برٍ ولا يهدأ لهُ بال، لم يفكر أبدًا في مالهِ الّذي سيتبخر غالبًا في الهواء، بل كان كلّ تفكيره في نورا الّتي هي الآن داخل غرفة العمليات ...
عندما رآها تسقط أمامه كورقة خريفية ذابلة والدماء تسيل من جانب صدرها، سقط من علوه على ركبتيه وسقطت قبله روحه إلى قاع الأرض السحيق وسقطت يداه معه وارتما مسدساه على جانبيه، هكذا فجأة خارت كل قوته وتبخر جبروته ولم يعد ذلك القوي الذي كان يجابه الشرطة بذلك الحزم والعزم؛ حتى عندما صرخ باسمها كانت صرخته ضعيفة وظلت معلقة في تلك الهوة السحيقة حيث سقطت روحه، لكن نورا رفعت رأسها نحوه وتبسمت ابتسامة متعبة، بدا وكأنها الوحيدة التي سمعت صرخته، ثم تبسمت! وعندها لم يعرف حازم كيف انهمرت عيناه فيضًا من الدمع، كأن الدموع التي لم يذرفها في حياته كلها اجتمعت اليوم وأعلنت تمردها عليه...
لم يكن أبدًا حازم نفسه الذي كأنه منذ لحظات ؛ بدا كطفل صغير يبكي بحرقة.

***

ثلاث ساعات قبل الفوضى، كانت نورا تجهز نفسها وضحكتها تغزو وجنتيها لأنها كانت ستلتقي بِوتينَ قلبها، واقفة أمام المرآة تسرح خصلات شعرها الحريرية،
كان باب غرفتها مواربًا، تبدو منه راما منغمسة في تصفح الأوراق المتناثرة على الطاولة كانت مندمجة جدًّا في تلكَ القضية التي سلمت لها منذ تعرف نورا على حازم وتعتبر من أكبر القضايا التي لا زالت راما تبذل قصارى جهدها من أجل جمع معلومات، لكن صدفة قد حصلت لراما حين علمت الأسم الكامل لِصاحب القضية التي تعمل عليها، كان هو نفسه حازم صاحب أكبر شركة إستيراد للصوف وحبيب نورا لكنها لم تخبرها لإنها كانت تريد أن يكون بِحوزتها معلومات تدين وتهتم حازم بِكل أعماله غير الشرعية وتلكَ القضية كانت بالنسبة لراما قد بلغت ذروتها لِمرحلة الخطر، إنه يوم عطلتها ولا شيء تفعله في هذا المساء سوى الإنغماس في حل تلكَ القضية.
انتبهت من فتحة الباب لنورا وهي تدور أمام المرآة كطفلة مبتهجة بفستان العيد ...

_ هاه ... ماذا يا فتاة؟! لم أنت سعيدة هكذا؟! وأين تخرجين؟
وعيناها تلمعان بفرح كنجمة يغازلها البحر دون كل النجوم، أجابت نورا:
_ سأقابل حازم، قال بأنه جهز لي مفاجأة وأنا متحمسة
_ هكذا إذن! حسنًا، استمعي بوقتك.
عاودت راما وضعِ رأسها على أوراق القضية فيما حملت نورا حقيبة يدها لتكمل طلتها الأنيقة وانطلقت منشرحة الأسارير، خفيفة الروح، يا للمسكينة! لم تدرِ أنها تنطلق لحتفها ...
وقبل أن تغلق باب الشقة، التفتت إليها راما:
ِنوراااا، لم تخبريني أين ستلتقيان؟
_ في متنزه (بلانتن أون بلومن)
المهم، لا تنسي أن تخبريني عن المفاجأة...
أجابت نورا بدلال: حسنًا!
بعد ساعة ونصف وبينما راما ماتزال مستمرة بالانغماس بقضية حازم وترتشف كوب من الشاي الساخن، وصلتها رسالة من نورا:
"أنا حزينة ...حازم سيسافر إلى روسيا وقد يبقى هناك لأشهر، لا أعرف كيف ستمر أيامي بدونه؟! "
أجابت:
"يا للخيبة ...أهذه هي مفاجأته؟!
هكذا هم لا يجيدون سوى الوعود"

جاءها الرد سريعًا من نورا :
(كفاكِ، لا تقولي ذلك! لقد أهداني مفتاح شقة
في شارع "نوير فال"، لكنني حزينة لخبر سفره هذا ما في الأمر)

أجابت: (شقة؟! وفي شارع "نوير فال"؟! واو! هذا رائع، مباركٌ يا عزيزتي)
وعادت لجمع كافة الأوراق على الطاولة وخبأتها بالحقيبة لكي لا تفقدهم وتنسى أين وضعتهم. عادت لهاتفها وأعادت قراءة محادثتها الأخيرة مع نورا وتذكرت ما كانت تحمله تلكَ الأوراق واستغربت سفر حازم المفاجىء هذا! أيعقل أنه يحاول أن يهرب من أفعاله؟ هل يكون هذا ما يريد أن يفعله؟ حاولت أن تدفع عنها الفكرة، لكن الشكوك والأسئلة عادت بصورة أقوى وبرقت أمام عينيها كلمة (مستقبل)
وبتلّكَ اللحظة دق جرس الباب فأسرعت راما وفتحت الباب وتفاجأت حين رأت جيسيكا، سألتها راما من أنتِ؟وما الذي تريدينه؟
قالت لها: أنتِ الصحفية راما؟
أجابت: نعم، أنا هي، تفضلي؟
قالت: أنا جيسيكا سكرتيرة السيد حازم في الشركة وقد علمت أنّكِ تلاحقين السيد حازم ولديك شكوك حول أعماله والأموال الطائلة التي تزداد كل أسبوع في البنك ... حسنًا، أنا بِحوزتي ملفات تخص القضية التي تبحثين فيها وستتسبب بِاعتقالهِ وزجهِ بالسجن ..
دهشت راما وقالت لها: كيف لكِ أن تعطيني مثل هذه المعلومات الخطيرة رغم إنكِ من أقرب الشخوص له وتعملين معه؟ وهكذا بدون مقابل؟ مجانًا؟
جيسيكا: أريد أن أنتقم منه لِأجلِ شيء قد ارتكبه بِحقي .. ناوليني حاسوبك المحمول سأبعث لكِ ملفًا مشفرًا يحمل الأدلة التي تدين حازم ويكشف عمله الحقيقي.
وبينما كانت جيسيكا تنقل الملفات، كانت راما تحدث نفسها: (إخبارية كهذه ستمنحني فرصة لأتقدم خطوات في حياتي... علي أن أبلغ عنه الآن قبل أن يفلت من يدي!)

أجابها صوت العاطفة: ماذا عن نورا؟! كيف تفعلين هذا بها؟
انقبضت روحها بعض الشيء وقالت أخيرًا:
(يجب أن أفعلها الآن! نورا ستشكرني فيما بعد) .
(يجب أن أرسلها إلى دافيد الآن ...آسفة يا نورا!)
فتحت بريدها الإلكتروني وأرسلت الملفات إلى ديفيد، وقبل أن تنظر ردًّا منه، اتصلت به:
_ مرحبًا راما
وبدون مقدمات أو حتى ردّ السلام، قالت:
- ديفيد! أرسلت لك ملفًا مهما قبل قليل، يجب أن تطلع عليه وبسرعة.
بعد عشرين دقيقة:
_ راما أنت رائعة حقًا، إنه ملف هام..أنتِ مخبرتي المفضلة، تعرفين ذلك!
سأحوّل الموضوع إلى القسم المختص.
جاء ردها سريعًا:
- لكنه مسافر إلى روسيا، يجب أن تتصرفوا الآن ربما يفلت بأفعاله....إنه في بلانتن أون بلومن الآن لوداع صديقتي نورا. هما حبيبان
رد ديفيد: حسنًا! سأتصرف ... أحسنتِ راما، ستكون مكافأتك كبيرة.
وكان هذا كل ما أرادته!
لم تُرِدّ راما لِنورا أن تشهد لحظة اعتقال حبيبها ففكرت بأن تتصل بِها وتطلب منها العودة سريعًا متحججة بأنها كسرت قدمها وتريدها لترافقها إلى المشفى.
حاولت مرارًا لكن في كل مرة كان الرقم غير متاح ...

***

في حديقة بلانتن أون بلومن كانا يجلسان كعصفوري حب يتهيأن للفراق، نورا مطرقة رأسها والدمع متجمع عند مقلتيها وحازم ممسكًا بيديها الناعمتين، يواسيها بأنه سيعود بأسرع ما يمكن وأنه حزين لفراقها ولكنه مضطر للسفر.
أجهشت نورا بالبكاء وفاضت الدموع المتجمعة، امتدت يدا حازم إلى وجنتيها تمسحان الدمع عنهما، وقال برقة:
حبيبتي؟! قلت لك سأعود قريبًا، اِمسحي دموعك.

رفعت عينيها إليه: هل تعدني؟
_ أعدك
وأردف قائلًا: هيا امسحي عينيك، تبدين كالباندا تمامًا...يالحظي! لقد أحببت باندا.
ابتسمت ابتسامةً خفيفة واشرقت عيناها ببريق الحب لكنها حاولت أن تخفي ذلك، وقالت متظاهرة بأنها لم تستظرف ما قاله: (لم يضربك أحد على يدك لتحب باندا)
وتبسما معًا ...
بعد لحظات...
هيا لنذهب الآن أيتها الباندا الجميلة، سأتأخر على آدم.

ردت نورا بصوتها الناعم الحزين: لاااا... ستسافر وتتركني وتريد الآن أن تتركني بهذه السرعة؟! أذابت قلبه كلماتها وصوتها الحزين فنظر إليها نظرةً امتزج فيها حب العاشق وحنان الأب وقال: حسنًا انتظريني. سأحضر هاتفي من السيارة وأعود، علي أن أحادث آدم...

انطلق حازم إلى سيارته ليحضر الهاتف وكانت السيارة مركونةً في شارع جانبي على بعد خمس دقائق من الحديقة.
أما نورا فتابعته بعينيها مفتتنة به وهو ينطلق بقامته المهيبة ومشيته الهادئة الأنيقة.

وعندما اختفى عن أنظارها أخذت هاتفها وشغلت أغنية(Someone like you) لأديل وراحت تهز رأسها جيئةً وذهابًا طربًا بكلمات الأغنية وإحساس أديل القوي.
مرت خمسة عشر دقيقة ولم يعد حازم بعد، لكن نورا لم تكن قد انتبهت؛ كانت ما تزال في عالمها الحالم مع أغانيها المفضلة.
فجأة أحست بانقباضة في صدرها، وانتبهت لخلو الحديقة مِن حولها، نظرت إلى الساعة فإذا حازم قد تأخر لعشر دقائق، انتابها القلق ونظرت من حولها مجددًا وكان ضياء النهارد حمل حقائبه وأفسح المجال لليل لينشر ظلامه، فتملكها الخوف وجاءت أمام عينيها صورة أولئك الصعاليك الذين حاولوا الاعتداء عليها... انتفضت واقفة وأخذت هاتفها لتتصل بحازم. ظل الهاتف يرن مرة ومرة لكن لا أحد يُجب. أعادت الاتصال وما من أحد ...
زاد قلقها وخوفها فحملت نفسها وهي تتلفت يمنة ويسرة لتلحق بحازم حيث ترك سيارته.
***
كان قد وصل حازم إلى سيارتهِ ولكنه قبل أن يتصل بآدم فكر بأن يكتب رسالة جميلة لنورا، وكان على وشك أن ينهيها قبل أن يتصل به آدم ويخبرهُ أن الشرطة قد تمكنت من الوصول إلى أدلة ضد أعمالهم غير الشرعية، عند سماع حازم ذلكَ أخذ بالصراخ:
(كيف حصل ذلك؟ ومن الذي تجرأ بالوقوف ضدي؟!) وفجأةً قُطع الخط وبدت على حازم علامات الغضب، أخذ هاتفه وهم بالرجوع، نظر إلى الوقت وإذ به تأخر كثيرًا عن نورا وبسرعة شغل محرك السيارة وقال في نفسه ستكون نورا الآن في حالة قلق بسبب تأخري وقبل أن يخطو خطوتين كانت سيارتا شرطة تحاصرانه ...
اندهش لذلك وارتبك بعض الشيء لكنه أكمل طريقه وكأنه ليس المعني بالأمر، فكر في نفسه: (بالتأكيد هم هنا من أجل شخص آخر، ليس لديهم شيء ضدي ...)
لكن نداء انطلق من أحد السيارتين أقنعه أنه هو الشخص المعني:
_ سيد حازم إن كان معك أسلحة ضعها على أرض بهدوء وارفع يديك فوق رأسك، أنت مطلوبٌ للعدالة.
(... يا للحظ! بئسًا)
وقف حازم في مكانه لحظة قبل أن يدخل يديه في جيب سترته ليأخذ مسدسهُ وينحني متظاهرًا بأنه سيضعهُ أرضًا، وكانت الشرطة تراقب دون أن تقترب والنداء يتكرر مرة ثانية:
"أطالبك بالوقوف ووضع يديك فوق رأسك! أي حركة منك لن تكون في صالحك"
لكنه لم يسمع ندائهم بل حمل مسدسه وصوبه نحو رجال الشرطة، أطلق النار عليهم وأصابهم إصابة بالغة لكن بِتلك اللحظة شاهدت نورا إحدى أفراد الشرطة يحاول الاقتراب من حازم ليطلق رصاصة نحوه غدرًا، ركضت نورا مسرعة لحماية حازم والرصاصة لم تخترق جسده بل اقتحمت قلب نورا ولولا نورا ما أفدت حياتها لأجله لفقد حياته لكن حازم لم يتحرك من مكانه وفي الحقيقة لم يكن يسمع شيئًا، كان رأسه يدور به كدوامة بحرية عندما رأت عينيّه حبيبته نورا، وقد أخذتها الرصاصة بدلاً عنه، خارت قواه واقترب منه شرطيان بحذر لكنه كان مسالمًا كما لم يكن من قبل، وضعا في يديه الأصفاد دون أن يبدي أية مقاومة.
***
في مركز الشرطة وبعد ساعتين من إلقاء القبض عليه وبعد أن مر حازم بالإجراءات الروتينية اقتاده شرطيان إلى زنزانة قذرة في آخر رواق ضيق وكانت قبالته زنزانة أخرى فيها عدة أشخاص.
لكنه طلب أن يبقى في زنزانة فردية وقد لبوا طلبه هذا؛ ربما شفقة منهم على حاله ومنظره المتجمد كجثة ...
داخل الزنزانة جلس على مصطبة إسمنتية مغطاة بلحاف مبطن رقيق، وجمع ركبتيه إلى صدره ووضع يديه على رأسه وظل ساهمًا لربع ساعة دون أن يتململ هنا أو هناك...
وفجأة أجهش بالبكاء كأنه طفل صغير تركته أمه في المدرسة أول يوم... بدأ رأسه يدور وأخذ بالصراخ:
(أخرجوني من هذه الزنزانة اللعينة أريد أن أذهب لرؤيتها،
لن أدعها تموت ... إنها شراييني التي تسري في قلبي، لماذا علي أن أفقد الذين أحبهم بهذه السرعة، لماذا؟!)
جاء أحد أفراد الشرطة المداومين ليلًا في المركز:

(هيه أنت! كفى صراخًا...هل تريدني أن أضعك في الزنزانة الأخرى مع شلة اللصوص والمتسكعين تلك، أظنهم سيحبون ضيافة السيد حازم بينهم).
وانطلقت من الزنزانة المقابلة أصوات جماعية مرتفعة تنادي بإحضاره:
(أيها الشرطي أحضره، أحضره! سنكرم ضيافته).
وانطلقت القهقهات...
ضرب الشرطي بهراوته على قضبان الزنزانة وصرخ فيهم:
لا أريد أن اسمع صوت واحد منكم ...اخرسوا جميعًا!
وهدأت الأصوات ...
لكن حازم عاد يصرخ مجدّدًا :
(لماذا؟! لماذا؟! نورا لا يجب أن تموتي، لا يجب أن تفعلي!)
عاد الشرطي وكان قد انطلق في الرواق عائدًا إلى مكتبه وصرخ غاضبًا في وجهه:
(قلت فلتخرسوا جميعًا، وجميعًا تشملك أيضا سيد حازم، لذلك اخرس أنت أيضًا ولا تصدع رأسنا).
وزمجر غاضبًا:
(تبًا لا يتركون أحدًا يهنأ بغفوته هنا).
بدا على حازم بعض الهدوء وتوقف عن الصراخ ثم عاد إلى المصطبة وجلس في زاويتها المظلمة ينظر إلى جدران الزنزانة.
شعر بالغثيان والقرف من بشاعة المكان؛ كان السقف يبدو متشققًا من البرودة وكانت قطرات ماء تتساقط من أحد الشقوق. حول بصره إلى الأرضية وكانت تفوح منها رائحة كرائحة الخضروات المتعفنة فوجد فأرين يذرعانها جيئة وذهابًا فاقشعر منهما.
وكان في الزنزانة مصباح خافت الضوء يسبب له فقدان الرؤية عندما يطيل النظرَ إليه.
لم يتمكن من إلهاء نفسه أكثر وعادت رأسه تعج بالأفكار والتساؤلات ورغم أن سؤالا كبيرًا كان يلح عليه وهو كيف عرفت الشرطة بأمره، إلا أن نورا استحوذت على فكره ومشاعره.
استحضر صورتهما وهما معًا في الحديقة وهمس بينه وبين نفسه:
(آهٍ يا صغيرتي الجميلة! كيف أنت الآن؟ ماذا حصل لك؟
هل نزفتي دمًا كثيرًا؟ يا الله! تلك الرصاصة كان يجب أن تكون هنا ...)
وضرب على صدره بقوة.
(لا أقدر على فقدانك يا نورا .. أرجوك تحملي وابقي قوية من أجلي)
ما أن أنهى تلك الكلمات حتى أصيب بانهيار عصبي وعاد للصراخ من جديد:
هيييه! أخرجوني من هنا الآن، أريد أن أرى ملاكي، أخرجوني الآن!
انطلق من الزنزانة المقابلة صوت أحدهم ساخرًا: صديقنا الغني اشتاق لملاكه... أوووه، يا للرومانسية!
وانطلقت القهقهات مجدّدًا...

ثارت ثائرته لهذا السلوك الساخر لكنه كتم غيظه متوعدًا إياهم بينه وبين نفسه برد يليق بسخريتهم، ونظر إلى ساعته فوجدها لا زالت تسير عند الساعة الحادية عشر فغضِبَ لأن الوقت بطيء جدًا كالسلاحف، بينما هو يريد لِلصباح أن يحل بِشدة .
عاد إلى حيث كان يجلس.
وجلس هناك حائرًا بين قلقه على نورا وبين تلك الأسئلة التي ألحت على عقله؛ كان يتساءل بينه وبين نفسه كيف عرفت الشرطة بأمر أعماله غير الشرعية وهو الذي لا يترك أي ثغرة وراءه:
(كيف استطاعوا أن يعرفوا تفاصيل عملي التي لا أعلمها سوى أنا وآدم؟! هل يمكن أن يكون لآدم يد في الأمر؟).
أصابه صداع من الفكرة، وعاد يزيحها من رأسه:

(لا، لا يمكن أن يكون آدم، إنه أخي الصغير لن يفعل بي هذا)
وهنا تذكر ذلك اليوم عندما دخل إلى مكتبه ووجد جيسيكا واقفة أمام حاسبه الخاص وقد ارتبكت لدخوله وتحججت بأنها أضاعت سلسالاً غاليًا من أمها فظنت أنه سقط منها صباحًا وهي تحضر له قهوة الصباح؛ اشتدت حيرته وغضبه وقال وقد صك أسنانه من الغضب:
(لا أعلم إن كان لك علاقة يا جيسيكا لكن أيًّا كان هذا اللعين الذي تسبب في إصابة نورا سيدفع الثمن، سيدفعه غاليا جدًا).
مرت الليلةَ الأولى وحلت الليلة الثانية وحازم لا يزال قابعًا في ِتلك الزنزانة القذرة بعدما تم رفض طلب إطلاق سراحه بكفالة لأنه تسبب في إصابة شرطيين وأحدهما جراحه خطيرة، وأخبره المحامي أنهم غداً صباحاً سينقلونه من مركز الشرطة إلى السجن المركزي للمدينة في انتظار المحاكمة.
وكانت فكرة التنقيل تؤرقه(يجب أن يراها ومن ثم فليذهبوا بي إلى الجحيم) هكذا كان يردد...
أخبره المحامي أنها ما تزال في غيبوبة، بعد أن ذهب لزيارتها تحت طلبه بعدما حاول الاتصال بآدم لكن الهاتف كان خارج الخدمة.

أحس بالعجز بين هذه الجدران و كأنها مبنية على صدره فلا تترك له المجال ليتنفس؛ كان يصرخ في داخله لكن لا أحد يسمع صوته أو صراخه. وظلت ابتسامة نورا وهي متهاوية على الأرض من إصابتها تكتسح مخيلته.
وكان يفكر بطريقة ما، تجعله يتحرر من هذه الزنزانة اللعينة ويذهب إلى حبيبته التي ضحت بنفسها من أجله.
(آه يا حبيبتي ...آه! لقد تسببت في قتلـ...)
وقطع كلامه،
(لا، لا... لن تموت صغيرتي، لن تفعل!)
كانت نورا أنذاك مستلقية في سريرها كالموتى تتصل بها أسلاك كثيرة ولا يوحي بأنها على قيد الحياة سوى ذلك الخط المتعرج على شاشة بجانب سريرها. بالجانب الآخر كانت تجلس راما تعض أناملها على ما فعلته وتدعو الله أن يمنح صديقتها الحياة من جديد.

***

استغرق في استحضار أيامه الجميلة مع نورا وأحس أن كل أيامه قبل نورا كانت بائسة، فكيف تكون بعدها؟! ورفع رأسه إلى السماء أو إلى سقف الزنزانة:
(يا الله! لا تذقني مرارة فقدها... إنها نعمتي الوحيدة في هذه الحياة)
مر شريط ذكرياتهما معًا أمام عينيه بدءًا من لقائهما الأول ومع كل ذكرى كان يتأجج الحنين إليها ولكن ذكرى معينة استوقفته طويلًا، عاد إلى لقائهما بميناء هامبورغ ...
كانت الساعة الثالثة والربع، تتساقط زخات المطر والضباب يلف المكان وكانت أعمدة الإنارة مضاءة كلها، كانت صورة المكان ساحرة ولم يكن في المكان غيرهما يضيفان على المكان سحر الحب ..... الثالثة والربع بتوقيتِ دقاتِ قلبِ حازم وخفقات فؤاد نورا، ذراتٌ مِنَ السعادةِ تحُومُ حول ميناء هامبورغ لأنَّ الحُبّ سيزوره ويشبعه بِأدرينالين الحياة؛ تلك الحياة التي يبثها العشاق في الأماكن التي يعلنون فيها حبهم.
التقت أعينهم سويًا وانتجت شرارًا من الشوق والحنين، مرّت عشر ثوانٍ ولا يزال كُل واحدٍ منهما واقفًا لم يُبديا أيةَ حركة.
تبادلا الإبتسامة في اللحظة الأولى من لقائهما وهمس حازم (أحبك).
ولم يكن قد صرح بها قبلًا بطريقة مباشرة رغم أنهما التقيا عدة مرات.
أعادها بصوت مرتفع، ثم مرتفع أكثر وقد بسط يديه كجناحي طائر (ألا فلتشهد مدينة هامبورغ وليشهد العالم أني أحبها ...أحب نورا)
ودون أن تدركَ ذلكَ وجدت نورا نفسها تبكي على صدره وقد طوقته كانت تحتضنه بقوة وكأنها تريد تعويض كل الوقت الذي لم تشعر به بهذا الشعور "أحبك" ما أجملها من كلمة وكم كانت في حاجة لسماعها بهذا الصدق وكم كان

هو صادقا في قولها.
في أعماقها تمنت نورا أن يتوقف الوقت وألا ينتهي ذلكَ العناق.
لكن حازم قطع عليها حلمها الوردي قائلًا: وأنتِ؟! ألا تريدين أن تقولي لي شيئًا؟
ردت مبتسمة بخجل وقد فهمت قصده: مثل ماذا؟
رد بجدية مصطنعة: مثل أحبك ...مثلًا
احمرت وجناتها خجلاً وخبأت وجهها في صدره وقالتها بصوت خافت بيد أنه اخترق صدره وجعل قلبه يرقص طربا على أوتار روحه وهي تعيد نغم الكلمة.

ابتسم ابتسامة عريضة وهو مغمض العينين وكأنه يعيش الحدث حقًا إلى أن قطع عليه صوت الشرطي لحظته الجميلة تلك.
هيه أنتَ ...ما الذي دهاك؟ هل أصبت بالجنون؟!
حدجه حازم بنظرة غاضبة لأنه قطع عليه مثل هذه اللحظات المفعمة بالحب .
وقبل أن يقول الشرطي شيئا بادره حازم وسأله إن كان بإمكانه أن يستخدم الهاتف.
_ من ستحادث؟
_ أريد أن أطمئن على حبيبتي، إنها في المشفى تصارع الموت
_ تقصد الفتاة التي أصيبت خطأ؟
أومأ حازم برأسه أي نعم ...
_ حسنا سأرى.
بعد لحظات قليلة عاد الشرطي وقال: حسنًا! تعال...

اقتاده مكبل اليدين إلى مكتب بأحد زوايا المركز، أشار إلى الهاتف وقال: (لديك خمس دقائق فقط).
ووقف بباب المكتب.
ركب حازم الأرقام بيديه المكبلتين وأخذ السماعة من على المكتب.
مجدّدًا كان هاتف آدم خارج الخدمة، بدت على وجهه علامات القلق والخيبة... رَكّبَ رقمًا آخر وأخذ السماعة، ظل هاتف راما يرن ويرن لكن لا جواب.
بدت جلية خيبة الأمل في عينيه، نظر إليه الحارس وقد أشفق على حاله: لا تقلق، ستكون على ما يرام.
سارع حازم بالرد عند رؤيته لكأسٍ على الطاولة: محاولة أخرى بعد...
وبحركة لم ينتبه لها الشرطي جعل الكأس تسقط مدعياً بأنه حادثٌ عن غير قصد وهو يضع السماعة على الطاولة، ومرة أخرى لم يكن هناك رد.
قام الحارس بمناداةِ شخصٌ آخر لتنظيف قطع الزجاج المتكسرة وبتلكَ اللحظة استغل حازم الفرصة أخذ قطعة صغيرة وخبأها في جيبه دون أن يلحظ أحدٌ ذلك.
عندما أغلق الحارس باب الزنزانة أخذ حازم القطعة وأمعن النظر بها هناك الفكرة لاحت له وبدأ يقلبها في رأسه، يجب أن يخرج من هذا المكان بأي طريقة حتى لو كان ذلك مقابل تعريض حياته للخطر.
***
أتخذ قراره بأن يقدم على الانتحار رغم أنه دومًا كان يرى في محاولات الانتحار جبنًا كبيرًا، لكن كما يقال في العامية "ليس في الحب مراجل".
تفكيره في الانتحار ليس لأنه أراد أن يموت فعلًا بل كانت خطته أن يتمكن من الوصول للمشفى حيث هي وعندها يدبر طريقة للقائها، كان الأمل بداخله يغالب اليأس فيغلبه، ولولا هذا الأمل ما همه أن يبقى في السجن أو يموت حتى.

عند الساعة الرابعة عصرًا وبعد أن مر الشرطي في جولة تفقدية قبل أن تنتهي مناوبته، أخذ حازم قطعة الزجاج المتكسر وقطع باطن معصمه الأيمن وبدأت الدماء تنسكب بقوة من أوردته ...
لم يكن اختياره للتوقيت عبثًا هو يعلم أنه بعد نصف ساعة أو أكثر قليلًا سيمر الشرطي المناوب الآخر في جولته التفقدية بداية المناوبة؛ لذلك لن ينزف كثيرًا، لكن الأمور لم تمر كما خطط لها وها قد دقت الساعة السادسة ولم ينتبه له أحد وهو مغمى عليه وسط الزنزانة وبقعة من الدم إلى جنبه الأيمن.

عشر دقائق بعد ذلك كان بسيارة الإسعاف متجها إلى المستشفى حيث كانت نورا تلفظ أنفاسها الأخيرة وتودع هذه الحياة إلى الأبد ...

(٤)

(وفقا للتقارير الطبية المرفقة والأدلة التي لدي، تم الحكم على المتهم بقضاء فترة سجنه في مصحة الأمراض العقلية الخاصة بالسجن).
صدح صوت القاضي العجوز في المحكمة ناطقًا بحكمه حيث كانت جلسة النطق بالحكم الخاصة بحازم اليوم بعد أن قضى يومين في مستشفى السجن لمحاولته المدروسة للانتحار، وعلى الرغم من اكتئابه وحزنه الشديد على نورا إلا أن بقائه في المستشفى أفاده جدًا في تنقية أفكاره وتفسير ما جرى كله وتخطيط خطواته القادمة بدقة.
انتشرت عناصر الأمن والشرطة في كل مكان بزيهم الموحد خوفًا من أي ردت فعل أو خطة قد يقوم بها حازم أو أي من أتباعه ليباغتهم ويلوذ بالفرار، لكن ما لم يتراءى إلى أذهانهم أن ما جرى بأكمله كان تخطيطًا مسبقًا ومحكمًا من حازم!!!
ارتسمت ابتسامة نصر على وجهه الوسيم عندما سمع ما نطقه القاضي ولكنه أخفاها بسرعة قبل أن تلتقطها أعين أحدهم، فقد نجحت أول خطوات خروجه من هذا المكان اللعين لينال انتقامه الذي انتظره كثيرًا وسيفعل أي شيء وكل شيء حتى يناله حتى وإن كان ذلك يعني التظاهر بالجنون والبقاء بين حفنة من المجانين لبضع الوقت!
بدأ يتظاهر مجددًا مكملاً خطته على أتمّ وجه وكأنه ممثل محترف منذ صغره أو خريج أحد المعاهد الفنية المشهورة:
(لا ... أنا لست مجنونًا، نورا أخبريهم نورا أخبريهم أنا لست مجنونًا، نورا لا تتركيني نورا أخبريهم)

اقترب منه الحراس ليجتروه إلى زنزانته؛ تحضيرًا لنقله إلى المشفى، الحمقى بعضلاته المفتولة وقامته التي فاقتهم جميعًا طولا لا يحتاج إلى أكثر من دقائق معدودة حتى
يتخلص منهم الواحد تلو الآخر، ولكنه يجب أن يتحلى بالصبر حتى يخرج من هنا سالمًا؛ لهذا أبدآ مقاومة ضعيفة وهو يصرخ
(لا أتركني، لا تبعدوني عن نورا، لا تأخذوها مني) بدا وكأنه يحاول التخلص منهم بوهن وجسد منهك لملامسة شبحها، وهذا بالضبط ما جعله يبدو كمن فقد عقله من أجل محبوبته، في الواقع لقد فقد قلبه وروحه، والسبب الوحيد الذي بات يعيش لأجله، ولكنه لن يفقد عقله إلا عندما يأخذ بروح من أخذها من بين يديه سيهرب ليس من أجله بل من أجلها من أجل الإنتقام لها وحتى ترقد روحها بسلام لن يستسلم، لن يتخلى عن انتقامه لها ما دام في رئتيه نفس وحتى يلفظ أنفاسه الأخيرة سيصبح كابوسًا يعكر صفو حياتهم، عليه فقط أن ينتظر بين أولئك المجانين، أسبوعًا سيمر كالدهر عليه ولكنه سيحتمله بل إن البقاء في أعماق الجحيم سيهون من أجل نور حياته؛ لهذا سينتظر حتى حلول موعد زيارته التالية للطبيب النفسي وعندها سينفذ خطته وسيخرج ليحيل حياتهم إلى جحيم وسيهون كل شيء بعدها إلا فقدهِ لها ...

***

بعد أسبوع :
أخيرًا انتهى هذا الكابوس وحان موعد لقائه مع الطبيب من أجل تحديد حالته النفسية وخطة علاجه، هكذا هو الأمر ظاهريًا؛ ولكن في الواقع إنه موعد هروبه من هنا، سيخرج وأخيرًا بعد طول انتظار، فخلال هذا الأسبوع تحمل ما لا يتحمله إنسان فقد كاد فعلا أن يفقد عقله بسبب ذلك الأحمق _هاري_ الذي يشاركه غرفته مشددة الحراسة في

المشفى، ولكن معشوقته الجميلة نورا أبت أن تتركه وحيدًا بل زارته يوميًا في الأحلام لتؤنس وحدته وتمده بالقوة والصبر بين جنبات هذا المكان المشؤوم.
وبينما كان حازم في غرفة الطبيب ينتظره للمعاينة تذكر زيارتها اليوم وكيف جلسا سويًا ليتحدثا عن ما كان يجمعهما، كالحُبِّ وأحاديثٍ دافئة تجابهُ لوعة حبهم ...
وبدأ بالتحدث مع نفسه بخفوت وكأنه يعزي نفسه قائلاً:

(زارتني نورا في حُلمي هذه الليلة وتحدثت لها عن حبٍ كان يراودني، عن عدد أطفالنا وبيتنا الدافىء، أُفضل أن يبقى بيني وبين ذاكرتي لن أحدث أحدًا غيرك عن هذا الحلم أرجوكِ اذهبي الآن لا أريد أن يراكِ أحد هنا اذهبي يا عسلية العينين اذهبي)
لم يكمل حديثه الذي دار بينه وبين ذاكرته؛ لأن الطبيب أتى مقاطعاً له:
(حلم عن أي حلم تتحدث ؟)

(لا شيء، كنت أتحدث أنا وقلبي قليلاً)

ـ الطبيب بعدم مبالاة: (لا بأس)
ثم جلس خلف مكتبه ينظر إلى حازم بفظاظة، حرك كرسيه بشدة وبدأ يمدح نفسه كثيراً وكم أنه ماهر وعالج حالة مشابهة لحالته و عن أنه - حازم- سيتخلص من معاناته و جنونه قريبًا على يديه الماهرتين وأنه لو كان بين يدين طبيب آخر لما شفي أصلاً أو سيشفى ...
لم يأخذ حازم بحديثه على محمل الجد بل وإنه لم يستمع له من الأساس؛ فقد عاد يفكر في نفسه:
(ما هذا الطبيب الأحمق، كيف تخرج من الجامعة وهو يملك هذا الكم من الغباء والغرور، يا إلهي، أليس من المفترض أني مصاب بالجنون ولن أفهم نصف حديثه أم ماذا؟ أم تراه يعلم بأني معافى ويحاول إصابتي بالجنون فعلاً!)
حاول حازم التظاهر أمام الطبيب بأنه مستمع جيد حتى يحصل على الفرصة المناسبة للخروج من هنا وأثناء ذلك غاص في أفكاره مرة أخرى عائدًا إلى زائرته عسلية العينين :
(تحدثت في حلمي مع نورا قلت لها عن الآمي التي جعلتني، أعيش هنا بين المختلين عقلياً، وعن الجروح الذي آذت قلبي، وعن هربي إلى هذا المصح النفسي بسبب ما حدث لي، وعن أفكاري بفقدانها التي كادت تجعل مني كذاك المشعوذ (هاري) الذي يرافقني في غرفتي، وعن كل أفراد هذا المصح وأن أغلب ما حدث لهم ما هو إلا بسبب حبيبٍ أو قريبٍ أو صديق).
أوقف حازم غوصه في ذكرياته وقد حزم أمره، حان الوقت و لن ينتظر دقيقة أخرى، بدأ يحدق بالطبيب بطريقةٍ مجنونة ومخيفة ثم رفع يداه على طاولة المكتب المطلة على حديقة المشفى وأخذ بقلمٍ و ورقة ليبدأ حازم بكتابة كلماتٍ ورسوماتٍ غريبة لا أحد يفهمها سِواه وفجأة بدأت يداه بالارتجاف حتى أسقط القلم منه أرضاً ليجعل الطبيب يقترب منه محاولاً السيطرة على ما يفترض أنه نوبة من نوبات جنونه، ولكن هيهات فهل يستطيع هذا الأحمق بجسده الهزيل حتى محاولة هزيمة حازم بجسده الطويل ومنكبيه العريضين دون ذكر عضلاته المفتولة؟!
لم يأخذ الأمر سوى ثوانٍ حتى بدأ حازم يضربه على رأسه إلى أن افقده وعيه وأخذ ثيابه مستعيرًا اسمه، ثم سحبه إلى الركن البعيد حيث يقع سرير المعاينة المحاط بستارة أدت وظيفة اخفاء جسده الضئيل ...
بمهارة وبرود جلس حازم ينظر إلى أشجار الصنوبر منتظرًا اللحظة المناسبة للخروج، شرد بذهنه إلى حبيبته نورا، حيث عاد يتذكر حديثها له في آخر أحلامه:
(من يستحق أن يملك قلبك غيري؟ ومن يستحق أن يتأمل وجهكِ الملائكي غيري؟
لا أحد، لا أحد له حقٌ فيكِ أكثر مني ...)
بينما كان حازم مستمتعًا بخياله دلفت إلى الغرفة ممرضة مقاطعة عليه ذهولهُ في نورا، قالت بهلع:

(دكتور هناك مريض يريد الإنتحار).
ارتسمت على وجهه ابتسامة خبيثة فأجابها دون أن يلتفت لها: (أنا قادم).

***

تمكن من الهرب منهم دون أي جهدٍ يُذكر، وهو من توقع أن الأمر سيكون أصعب قليلاً من ذلك، فخابت كل آماله حيث كان بحاجة لبعض المرح حقًا ...
سيستغرق الأمر بضعة ساعات حتى يكشفوا اختفائه؛ مما يتيح له الفرصة والوقت كافي للمرور إلى شقته، وأخذ بعض الأوراق الضرورية ثم الهرب إلى أحدى أوكاره السرية التي لا يعلمها أحد سواه وآدم ...
وقد كان عليه التواصل مع آدم، وإعلامه بهروبه، حيث أنه نفذ خطة الطوارئ على أكمل وجه، حيث وضع حازم كل الأمور غير القانونية باسمه، ورغم معارضة آدم الشديدة إلا أنهما اتفقا على إنكار آدم معرفته بأي شيء، وابتعاده عن الوسط إذا حدث وكشف أمره في يوم ما ... ليتَ القضية قضية عابرة، بل إنها قضية موت روحين في جسدٍ واحد .

أستغرق حازم وقتًا طويلًا وهو يفكر بنورا بغضبٍ يقتله، حتى أن عيناه كانتا تقدحانِ شراراً من شدة حزنه وسيطرة الإنتقام عليه ... هل للحبِ جراءةً كهذه؟! أم أن القدرَ أصر على أن يَفترقا؟!
بدأت السماءُ بالغضبِ وكأن حزناً وَاحِدًا لا يكفي، وها هي _هامبورغ_ مدينة الأحلام تتَحَول لِأكبرِ آلآمِ حازم الذي قرر أنه لن يترك أيَّ أثرٍ لقاتل نورا، وأنه سيسعى جاهدًا لِهذا ... اشتد غضبه عندما تذكر صوت الممرضُ الَّذِي صدح في عقله من بعيد: (مسكين لقد فارقت حبيبته الحياة).
لذاكَ أقسم على أن ينتقم لها وإن كلفه الأمر حياته ...

***

كرس حازم وقته من أجل التحقيق في أمر الخائن الذي أبلغ عنه، كان أمرًا معقدًا بعض الشيء لأنه وحيدًا يعمل في الخفاء وعناصر الشرطة تبحث عنه في كل مكان، كما أنه من المؤكد أن الشرطة تراقب آدم لعله يدلهم على طريق له؛ لهذا لن يتواصل معه ولن يخاطر أبدًا بكشف أمره أو أمر أخيه قبل أن يأخذ بانتقامه، سينتقم ويقتل ذلك الخائن أو تلك الخائنة! فحتى الآن جميع الشبهات تدور حول جيسيكا سكرتيرتهُ الخرقاء!

مرَّ أسبوع على هروب حازم من السجن وسبعة عشر يومًا كاملًا على ذلك اليوم المشؤوم الذي أصيبت فيه نورا وفقدها فيه، مازالت الشرطة تبحث عنه، ومازال هو يبحث عن انتقامه ... وبعد تحرياته العديدة التي استمرت طويلاً أصبح متأكدًا أن جيسيكا هي الفاعلة، فالأوراق التي وصلت إلى أيدي الشرطة هي أوراق وحدها جيسيكا من تستطيع الحصول عليها، دافعها مازال مجهولاً و لكن لا شيء سيمنع حازم من انتقامه الذي سيحصل عليه اليوم!

بعد انتشار خبر هروب حازم من السجن وانتشار أخبار موت حبيبته أي نورا في جميع الجرائد المحلية، علمت جيسيكا أن ما فعلته لن يمر دون عقاب؛ لهذا هربت إلى الكوخ الذي كان جديها يعيشان فيه في الريف ظنًا أنها ستكون بأمان هناك ولن يستطيع أحد إيجادها، ولكن هيهات فهي قد عبثت بعداد عمرها بعد أن قامت بخيانة حازم ...

توجه بالسيارة القديمة التي أرسلها له آدم بطرق ملتوية كثيرًا تحت أسماء مزيفة إلى ذلك الكوخ في الريف البعيد، لقد كان هذا اليوم هو كل ما فكر به منذ خروجه من السجن، فانتقامه ممن انتزع منه نورا هو الشيء الوحيد الذي يبقيه على قيد الحياة ويبعده عن الإصابة بالجنون ...
وبعد قيادة دامت لساعات وصل أخيرًا إلى ضالته المنشودة، هذا الكوخ البعيد عن باقي القرية سيجعل مهمته أسهل!
تحقق من قبعته وشكله في مرآة السيارة فلا يريد لأحد أن يشتبه به، هو مجرد عامل توصيل لا أكثر و بهذا اللباس لن يستطيع أحد التعرف عليه!

طرق الباب الخشبي للكوخ ووقف بعيدًا قليلاً بإنتظار جيسيكا التي أتت بعد عدة دقائق تسأل بقلق عن هوية الطارق فأجابها حازم مغيرًا من نبرة صوته:
(سيدتي أنا عامل توصيل أحمل لكِ ورقة إبلاغ من المحكمة، هل يمكنك استلامها و التوقيع على ذلك؟) .
ترددت جيسيكا قليلًا أن تفتح الباب فقد شكت بأن يكون الأمر خدعةً، ولما تستدعيها المحكمة الآن؟! لكنها فكرت أن الأمر أكيد مرتبط بحازم فهي كانت سكرتيرته لمدة طويلة ولربما يريدون منها إملاء شهادتها للتأكد من بعض المعلومات؛ ولهذا وبعد القليل من التردد فتحت الباب تسأله :
(حسنًا أين يجب أن ...)
ولكنها لم تتمكن من إكمال جملتها، فقد انقض عليها فورًا مكممًا فمها بيده، كاتمًا صوتها ومقيدًا حركتها ثم أدخلها إلى داخل الكوخ، مغلقًا الباب خلفه لينال انتقامه الذي طال انتظاره ...

***

في داخل الكوخ بدأت جيسيكا الدفاع عن نفسها بعنف بعد أن اتضحت لها هوية حازم، ولكن فارق القوة الجسدية كان واضحًا فجسدها وقوتها لا تُعدّ شيئًا أمام بنية حازم العضلية ...
بعد عدة دقائق من محاولاتها البائسة للفرار صرخ بها حازم مصوبًا مسدسه نحوها:
(اصمتي أو أقسم أني سأفرغ هذا المسدس في قلبكِ ولن أتردد لثانية).
تملكها الخوف بعد كلماته الغاضبة ونظرته الجنونية التي أثبتت صدق ما قاله، فتوقفت عن الحركة كأنها صنمٌ ذو نظرات تكاد تموت رعبًا، ولكن هذا لم يمنع حازم من وضع فوهة مسدسه على صدغها قائلاً:
(والآن سأبعد يدي عن فمك، وستخبريني بكل شيء برويةٍ وهدوء، أتفهمين؟!
كل ما دفعك لفعل ذلك وكيف؟ وأقسم أن أي حركة لك لن تعجبني ستُخرج روحكِ في ثواني).
ازدردت جيسيكا ريقها بخوفٍ بينما أبعد هو يده عن فمها ببطء دون أن يحرك مسدسه إنشًا واحدًا بعيدًا عن صدغها و صرخ بها (تكلمي!)
بدأت تتحدث بهلع ودموعها تتساقط بحرارة:
(لقد أردت الإنتقام منك، من أجل أختي)
صمتت وقد سيطر عليها خوفها مانعًا إياها من قول المزيد ولكن حازم صرخ بها مرة أخرى:
(من هي أختك؟! أكملي كل شيء لن انتظركِ حتى الغد كي تكملي قصتك الواهية، أريد كل التفاصيل حالاً)
أكملت بهلع وصوت متقطع:
(أختي ريبيكا مارتن، لقد كانت سكرتيرتك منذ ٤ سنوات ولكنك طردتها فجأة، كانت حاملًا في وقتها، ولم يمر على وفاة زوجها إلا بضعة أشهر، وعند فقدانها لعملها ومصدر رزقها الوحيد الذي سيعيلها هي وابنها القادم أصيبت بإكتئاب شديد، وابتعدت عن الجميع حتى دخلت يومًا الى المنزل ووجدتها مرمية على الأرض جثة هامدة بعد أن أنهت حياتها، بسببك)
ازدردت ريقها بحرقة وأكملت بسيلٍ من الدموع:
(بعد ذلك أقسمت على الإنتقام منك، فقدمت على الوظيفة ذاتها التي شغلتها أختي قبلاً ولأنها حملت اسم عائلة زوجها بعد الزواج لم يكن صعبًا عليّ إخفاء هويتي، جمعت العديد من المعلومات عنك وعن أعمالك المشبوهة، ولم يأخذ مني الأمر سوى تسليمها إلى تلك الصحفية التي أعمى الجشع قلبها حتى فضحت أمرك بكل صدر رحب فهي مخبرة قديمة للشرطة، ولم يكن أمر إقناعها بتسليم المعلومات أمرً صعبًا).
أنهت قصتها ورغم الهلع الذي تملكها خوفًا على حياتها إلا أنها بدت فخورة بما فعلته، وبانتقامها الذي نالته لاختها، أما حازم فقد كان من الصعب توقع ردت فعله على ما سمع ولكنه عينيه لمعت بغضب وسأل بهدوء حارب للحفاظ عليه:
(إذن ريبيكا مارتن هي أختك، أليس كذلك؟)

أومأت جيسيكا برأسها ودموعها مازالت تنهمر ... أكمل:

(إذن فإن جينات الغباء هو أمر متوارث في عائلتكم، ولكن قبل أن أخبرك بقصة شقيقتك الحقيقية لقد ذكرتي أمر صحفية ومخبرة للشرطة، من هي؟)
صمتت جيسيكا وبدت كأنها ترفض إخباره الاسم، ولكن أمر معرفته لم يأخذ منه سوى صرخة واحدة وهو يذكرها بالمسدس المصوب نحوها:
(تكلمي!)
(راما، اسمها هو راما بلايك)
دار الإسم في عقل حازم فقد سمع به من قبل ولكن الصدمة علت وجهه عندها تذكر أن _راما بلايك_ هي صديقة نورا المقربة، بل إنها شريكتها بالسكن أيضًا! هذا مستحيل!!!
صرخ مرة أخرى وقد بدأ نفذ صبره:
(لا تتلاعبي بي هل أنت متأكدة من اسمها؟)
أجابته برجفة وصوت خافت:
(أجل)
(أخبريني بكل المعلومات التي تعرفينها عنها، مكان عملها أو سكنها، لن أكرر سؤالي)
(إنها تعمل في جريدة الحرية)
ومن ثم أملته عنوان منزلها، ولم يكن ليخطئه أبدًا ... منزل نورا!
لقد خانت صديقتها من أجل بعض المال، لن تفلت من العقاب، سينتقم منها هي الأخرى ولكن بعد الإنتهاء من هذه اولاً لذا استأنف حديثهم القصير قائلاً:
(حسنا إذن، بما أنني حصلت على المعلومات التي أريدها فلأخبرك عن أختك الحمقاء الأخرى الآن، أجل لقد كانت السكرتيرة الخاصة بي، وكنت أعلم بجميع ظروفها؛ لذا عندما امسكتها تسرق من خزينتي التي تركتها مفتوحة بالخطأ للمرة الأولى فقد سامحتها ولم أطردها رفقًا بحالها، بل وأخبرتها أن تعلمني بحاجتها متى شاءت وسوف أقدم لها يد المساعدة، رغم أن السرقة هي أمر محرم لدي، ولكن من أجل طفلها القادم فقد غضضت النظر عن ما جرى، حتى وجدتها بعد أسبوعين من الحادثة السابقة تعبث بأشيائي تبحث عن أحد الملفات السرية، وهنا كانت قد تمادت كثيرًا، فلرحمتي وصبري حدود ومع ذلك رحمة بطفلها؛ ولأنها لم تستطع إلحاق الأذى بي وبشركتي فلم أقم سوى بطردها، رغم أنه لم يكن عقابًا كافيًا لما فعلته، ما رأيك بشقيقتك الآن؟)
أضاف آخر جملة بسخرية وهو يرى أشد تعابير الصدمة ترتسم على وجه جيسيكا، ولكنها بدأت تهمس بعدم تصديق ما قاله وكأنها تحدث نفسها:
(هذا غير صحيح، مستحيل، ريبيكا لن تفعل شيئا كهذا، مستحيل)
إلا أن حازم أجابها بسخرية واضحة في صوته:
(ليس مستحيلاً يا عزيزتي، بل هو الحقيقة، ولو كنا في الشركة الآن لكنت جعلتك تشاهدين تسجيلات كاميرات المراقبة، فأنا أحتفظ بها كلها وإلا لما كنت وصلت لكِ أيضًا)
أضاف بعد برهة من الصمت:
(والآن أنتِ مخطئة في حقي بدون عذر يذكر ولهذا ستكفرين عن ذنبك)
بدأت جيسيكا تنحب وتتوسل:
(أرجوك لا تقتلني، أرجوك سأفعل ما تريد أعفُ عني)

(سنرى بشأن هذا لاحقًا، و لكن تذكري لن يكلفني الأمر سوى طلقة واحدة لأتخلص منكِ، و الآن اخرجي ورقة وقلم بسرعة).

رغم استغرابها من طلبه إلا أنها نفذته، وخلال دقائق كانت قد خطت رسالة اعتذار قصيرة أملاها عليها تحت التهديد ومع آخر كلمة كتبتها كان حازم قد أرتدى قفازًا، وأخرج سلاحًا آخر من جيبه ومن ثم أمسك يدها وجعلها تمسك به بالقوة دون أن يفلت يدها، لذا فعليًا فقد كان هو من يحمل السلاح، ولكن بصماتها هي عليه وقال وهو يوجه يدها المرتجفة نحو رأسها:
(أخذت حقي بجعلك تخطين رسالة انتحارك، تسببتِ في مقتل حبيبتي وستدفعين الثمن ... أجل أنا بائع سلاح ولكني لست بقاتل، والآن نجحت في تغير ذلك لأن العين بالعين والسن بالسن والروح ... بالروح)
ومع آخر كلمة نطق بها حازم خرجت طلقته مخترقة رأس جيسيكا جاعلة من الأمر يبدو وكأنها انتحرت لما سببته من أذى، وحيث ارتمت جثتها على الأرض بجانبها المسدس الذي أحضره مرخصًا بإسمها ويحمل الآن بصماتها ...

تأكد حازم من أن لا آثار له بالمكان وخرج كشبح ليكمل انتقامه لحبيبته، فمازال لديه خائنة أخرى عليه التعامل معها ...

***

بعد عدة أيام وبعد الكثير من البحث عن راما ومراقبتها تنكر حازم بطريقة لا يعرفه أحد بها، نظر إلى مسدسه وتفقد رصاصه قبل أن ينهي إنتقامه الأخير، ركب إحدى السيارات القديمة المسجلة بإسمٍ مزور ليتفادى رجال الشرطة، وذهب إلى منزل راما ينتظر خروجها المعتاد في هذا الوقت ...
وقف ينتظرها وينظر إلى السماء بُرهةً يتأمل النجوم دون كلل أو مللٍ منه، تذكر لقائه الاخير بنورا وكم كانت جميلة بذاك الفستان الاحمر، وكيف كانت تحضنه بحبٍ و أن آخر حديثٍ جمعهما هو أسماء أطفالهم وأنها تحب اسم جودي كثيراً، حتى ساقه التفكير الذي أنهاه بمسح دموع عينيه وبقاءه منتظرًا ...

بعد نصف ساعة من الحزن الذي أصابه بالصمت رأى راما على الطرف الآخر من الشارع، ناداها بصوتٍ لا يشبه صوته:
(آنستي من فضلك هلا توقفتي لحظة)

نظرت إليه بتعجب! كانت تظن أنه أحد مندوبي المبيعات وهذا ما كان يرتديه زي لشركة وهمية ليثبت أنه سيعرض عليها شيءً ويذهب ...
(تفضل ماذا تريد؟)

اقترب منها قليلاً وفتح الحقيبة التي كانت مليئة بالأوراق والصُحف وقال:
(هلا نظرتي هنا قليلاً)

لترى بيده المسدس فقالت بهلعٍ وخوف:
(من أنت ماذا تريد؟!)

:(استمري بالمشي وإلا أفرغت المسدس برأسك)

ركبا السيارة معاً حتى ربط يداها بعد التهديد والوعيد، فقالت بعجب:
(من أنت وماذا تريد؟)
:(أنا من عاش وحيدًا دون نورا وسيعيش وحيداً إلى الأبد)

شحب وجهها وقالت بصوت مرتجف: (حازم؟!!)

:(نعم حازم، من أخذتي روحه وأبقيته دونها، اصمتي الآن وإلا ...)

استمر بقيادة السيارة إلى مكان مظلم جدًا مليء بالأشجار وبدأ يدب الرعب في قلبها: (ما رأيك بتقطيع جسدك ورميه هُنا لتأكله الحيوانات البرية مثلاً؟!)
وبدأت تبكي منهارة كمن شعر بالذنب لفعل كبير ... قالت بنبرة يغشاها الألم والندم:

(أعتذر منك، أعتذر حقًا، لم أكن على درايةٍ بأننا سنصل إلى هُنا وإلا لما فعلت هذا، لم أنم منذ ذاك اليوم، إنها في أحلامي تقبلني وتذهب، تجعلني أشعر بأنني لعينة، أُقتلني يا حازم أرجوك، فأنا لا أستحق الحياة لا أستحقها)

حازم بغضب: (وماذا عن روحي؟! أتعلمين أنني أصبحت يتيمًا مرةً أخرى؟! هي كل شئ بالنسبةٍ لي، كانت حياتي الجميلة وسبب سعادتي، ما عُذرك وقد سرقتي مني أجمل ما أملك؟)
رفع المسدس ووضعه على رأسها، ثم مرره إلى قلبها وقال: (ما بالك إذا كان جرحك هنا بالقلب؟ لعنك الله، أتسمين نفسك إنسان، وأنت لا تملكين شيئًا من الرحمة!؟)
كانت راما تبكي بحرقة وتشهق تترجاه حتى يقتلها وتصل إلى مرادها وترتاح من عذاب الضمير ...

لم يشفق على حالها أبدًا، ولكنه نظر إليها بصمت لبضع ثوانٍ ثم قال:
(أنتِ لا تستحقين رحمتي فالموت رحمة لكِ، بل تعذبي لعلها تغفر لك، وأطلبي المغفرة من الله، إنها من أعظم ذنوب ... فرقتي قلبين، وشتتي حياة أناس كثيرة، لن أسامحك ما دمت حيًّا، اللعنة عليك) ... وانصرف

***

سار حازم إلى سيارته ثم ذهب إلى مكانه المفضل عند نجمته التي تسمو في التراب ... قررت راما أن تترك هذا البلد إلى الأبد، وأن تعود إلى قريتها متجهة إلى أقرب مطار ... وداعًا _هامبورغ_

بعد أن حقق انتقامه أخيرًا، عاد من الريف إلى المدينة وذهب مضطربًا وعيناه مليئه بالدموع إلى المكان الأول الذي جمعهما صدفة، إلى أول نظرات ودقات قلبٍ عاش بها، شرد في ذهنه باكيًا تارة وضاحكًا تارة، تذكر كل لحظةٍ جمعته بها، وما بين ضحكهِ وبكائهِ يغضب لشدةِ شوقه ... (هذا حال كلّ من فقد عزيزًا، تراه يضحك فرحًا بالعشق، ويبكي من لهفة الحنين، يغضب؛ إمَّا على نفسهِ أو على محبوبتهِ لسبب يكاد يكون بسيط لكنَّهُ معقدٌ جدًا في قلب من أحب، سيظل الحب عصبًا مبهمًا يقبض على قلب المرء حتى يعيه وغالبًا ما يقتله ...)
بدأ حازم بلوم نفسه، ولوم نورا أيضًا ... كاد يختنق فقد ضاقت بهِ الأرض رغم انتقامه، لربما هدأ الولع لوهلة في قلبه، ولكنَّهُ شَبَّ من جديد كنارٍ حاميةَ ... أمسك مسدسهُ ورفعهُ إلى صدغه ليهم بالإنتحار ويريح قلبه الذي ما أنفك عن إيلامهِ، ولكنَّهُ تردد وردد في نفسه قائلًا: (لا، لن أقدر على المجيءِ إليكِ)، معارضًا لما قاله سابقًا: (لن أتركك مجددًا، سآتي إليك). وما بين حيرةٍ وشوقٍ، سقط على ركبتيه وهو يصرخ باسم محبوبته ...

(٥)

بعد ثلاث سنوات/ إيطاليا/

في حديقة بديعة لإحدى المنازل البسيطة، صدح صوتٌ ناعمٌ كنغم موسيقي لفتاة تنادي في الأرجاء: (حازم، الطعام جاهز)

اقتربت بعدها من حازم المستلقي على العشب بهدوء وسكينة حاجبة ضوء الشمس عنه ففتح عينيه يتأملها بحب، يتأمل من غيرت حياته وقلبتها رأسًا على عقب، ارتسمت على شفتيه إبتسامة مشاكسة، بينما هي تبادله النظرات

بجِنوٍ ومازالت تطالبه بالدخول:
(هيا يا حازم، سيبرد الطعام الآن وصدقني لن أسخنه مرة أخرى، فلتأكله باردًا عقابًا لك على تأخرك، حتى آدم وصل وأنت مازلت هنا تتأمل)

اتسعت ابتسامته وهو يراها أمامه توبخه بهيئتها الطفولية، ولولا بطنها المنتفخة التي تحمل بداخلها قطعه منه لما صدق أبدًا أن هذه المرأة التي تبدو كطفلة هي زوجته، لا يعلم ماذا فعلت بحياته قبلاً ولكنها كانت هديته من الخالق، بل وأجمل هدية.

كان حازم يتأمل ذلك اليوم الذي أعتبره ميلاده الجديد، فقد مات يومها حازم بائع السلاح وولد حازم الذي سيحيى من أجل نورا وأطفالهما فقط ...

قبل ثلاث سنوات/

سقط حازم على ركبتيه يصرخ بإسم نورا وكأن روحه ستخرج مع صرخاته حيث مازال سلاحه موجها نحو رأسه، و قبل أن يضغط الزناد لينهي حياته أنطلق صوت باكي يصرخ بإسمه:
(حازم لاااا)
سقط المسدس من يده وهو يسمع صوتها، هل يخيل إليه؟ أم أنه صوت نورا فعلاً؟! قد رَنَّ صوتها كنشيدٍ وطني في ربيع قلبه وأزهر بستانًا، هل مات؟! لكنَّه يدرك أنه لم يضغط على الزناد بعد!!
إقتربت نورا منه بسرعة، وأبعدت السلاح من جانبه، ومن ثم انقضت عليه تحتضنه كأم تحتضن أبنها ... أما هو فمازال مغيبًا تحت تأثير صدمته، لم يستطع حتى أن يبادلها العناق فابتعدت نورا عنه تتأكد من سلامته:

(حازم، هل أنت بخير؟ أرجوك أجبني)
بعد عدة دقائقٍ ومحاولاتٍ من نورا لإخراجه من صدمته أجابها بصوت خافت:
(نورا! هل هذه حقًا أنت؟! أم أنه حلم؟!)

بكت نورا على حال حبيبها، وعادت تحتضنه وكأنها تخبئه بين أضلاعها هامسةً له علها تهدئه:
(حازم حبيبي أنا هنا أهدأ، أنا هنا لست شبحًا إنها أنا نورا)

أبتعد عن حضنها الدافئ وبدأ يتفحصها ويتلمس وجهها، كأنه يتأكد من وجودها أمامه ومن أنه لا يتخيلها ثم دون أن يشعر بدأت دموعه تتساقط كحبات المطر وهو يهمس بعدم تصديق:
(إنها أنتِ حقًا! أنتِ هنا! لم ترحلي! لم تتركيني!)

بدأ يضحك وهو يبكي، كأن أصابه مس من جنون لرؤيتها أمامه حيَّة ترزق:
(ولكن كيف؟! لقد رأيتك تصابين أمامي، ولقد قرأت خبر موتك في الجرائد بنفسي هذا مستحيل!)
قبل أن تجيبه نورا سبقها آدم الذي ظهر من خلفها ويبدو أنه هو من أحضرها إلى هنا قائلاً:
(لقد أصيبت نورا بالفعل، ولكن إصابتها كانت بعيدة عن القلب، ومع ذلك فقد دخلت بغيبوبة لمدة ثلاث أيام، استيقظت بعدها تسأل عنك فاستغليت أنا الأمر وابعدتها عن كل المشاكل؛ حتى لا يستغلونها ضدك بشكل أو بآخر، ولم أخبر أحد باستيقاظها، وبعد ذلك أكملت علاجها في منزلي بعيدًا عن الأعين، والآن هي في أفضل حال ... لم يتطلب مني الأمر سوى مبلغ قليل من المال لرشوة الطبيب و تزوير موتها، و هو بالضبط ما فعلته أيضًا من أجل الحصول على جثة مشوهة لتزوير موتك أنت الآخر، لقد مات حازم آل عمران بحادث سيارة مروع وتحولت جثته

التي تحمل بعضًا من آثارك إلى أشلاء بينما كان يحاول الهرب عبر الحدود في الطرف الأخر من المدينة وعناصر الشرطة تتوجه جميعها للبحث في الحادثة) .

علت تعابير الصدمة وجه حازم، بدآ كمن فقد القدرة على النطق حتى، أحاطت نورا وجهه يديها ونظرت له من بين دموعها وهمست برقة:
(حازم، لقد علمت بما أخفيته عني، وطبيعة عملك، ولكني أسامحك عن ما مضى فقد كنت مجبرًا عليه حتى تبقى على قيد الحياة وتنقذ نفسك وتنقذ آدم، ولكن الآن أنا أسألك، هل تقبل بأن تبدأ حياةً جديدةً معي بعيدًا عن كل ما سلف وبعيدًا عن كل الأعمال غير القانونية التي فعلتها قبلاً، هل تقبل بأن تعيش معي حياة سعيدة بسيطة ونظيفة؟ هل تقبل بأن نبدأ من جديد؟)
ودون لحظة تردد واحدة أجابها كغريق يتعلق بآخر آماله للبقاء على قيد الحياة:
(لقد مات حازم يوم فارقت نورا الحياة، لقد نال عقابه وعذابه عن كل ما مضى، مات حازم أقسم لك) .

صمت قليلاً يستجمع شتات نفسه، ومازالت دموعهما تنهمر ثم ارتسمت إبتسامة ساحرة على وجهه ونظراته العاشقة طلت من بين دموعه مكملاً بصوت محب:
(نورا أكرم هل تقبلين أن ترافقيني إلى ما بعد البداية؟ هل تقبلين بأن ترافقيني طوال حياتي الجديدة؟ هل تصبحين زوجتي؟)
قبل أن يحصل على جوابه، بدأ آدم بالتصفيق وهو يضحك فرحًا بصديق عمره وأخيه:

(أووووه، أخيرًا ستتزوج وسأصبح عمًا فيما بعد)

ولكن نظرة لاذعة من حازم جعلته يصمت راسمًا على وجهه ابتسامة مشاكسة لا أكثر بينما حازم ينهره قائلاً:
(هل من الممكن أن تصمت قليلاً؟! لم تسمح لها بأن تجيب على سؤالي بعد فكيف ستصبح عمًا يا أبا الحبكات والخطط الخفية؟!)
كاد آدم أن يجيبه بشغب إلا أن نورا قاطعت حديثهما قبل أن يطول بقولها:
(لقد توفت نورا أكرم منذ عدة أيام، و لكني أقبل بأن أولد معك من جديد فما مضى من عمري دونك لا يجب أن يحسب على كل الأحوال والقادم من حياتي لن يكون ذا قيمة إن لم يكن معك) .
لم يكن ما حدث بعد ذلك صعبًا فقد قبلت نورا بأن يقوما بأمر غير قانوني أخير حتى تبدأ حياتهم من جديد؛ حيث أخرج آدم هويات جديدة لكل منهما تحت أسماء مزيفة وأصبحا شخصين آخرين تمامًا كأنهما ولدا من جديد، بعدها انتقلا للعيش في إيطاليا؛ أحد الأحلام التي تحدث عنها حازم ونورا من قبل مما جعل آدم ينتقل معهما أيضًا ويفتتح فرعًا آخر لشركة الصوف، التي ورثها آدم قانونيًا بعد موت حازم المزيف حيث لا وريث له سواه، ولكن بعد ذلك فقد أشترى حازم حصته من آدم تحت اسمه الجديد كشريك جديد للشركة مع آدم يديرها من بعيد ...

بعد ثلاث سنوات/
عاد حازم إلى واقعه على صوت آدم المزعج:
(هيا يا عصافير الحب لن أنتظركم عمري كله، إنني أتضور جوعًا أسرعوا قبل أن آكل كل شي وآكلكم معه)
بينما نورا سحبت حازم من يده كطفل صغير وهي تتذمر كالأطفال أيضًا، سحبها ضاما إياها من الخلف بين أحضانه واضعًا يده على بطنها المنتفخة هامسًا بحرارة العشق:
(فلينتظر، من يهتم له أو حتى الطعام! فليأكله وحده)

تململت نورا بدلع:

(حازم أبتعد عني وهيا إلى الطعام)

(لن أبتعد أبدًا، أريد البقاء بقربك دائمًا فلقد انتظرت قدومك عمرًا بأكمله، وحبكِ كتب لي عمرًا آخر فغيرني وجعل مني حازم العاشق المتيم بك، ولا يمكن لشيء أن يبعدني من جانبك ما حييت).

النهاية.

تمت بحمد الله.